الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 مـــــاي 1945 قالـــــمة

كلـــــية الـــعلوم الإنـــــسانية والإجتــــــماعية

قسم التـــــــاريخ



الحياة الاجتماعية في بلاد الشام خلال العصر المملوكي (648 – 923هـ/1250 – 1517م)

مذكـــــرة مقـــــدمة لـــــنيل شـــــهادة المـــــاستر في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة:

يخلف نورة

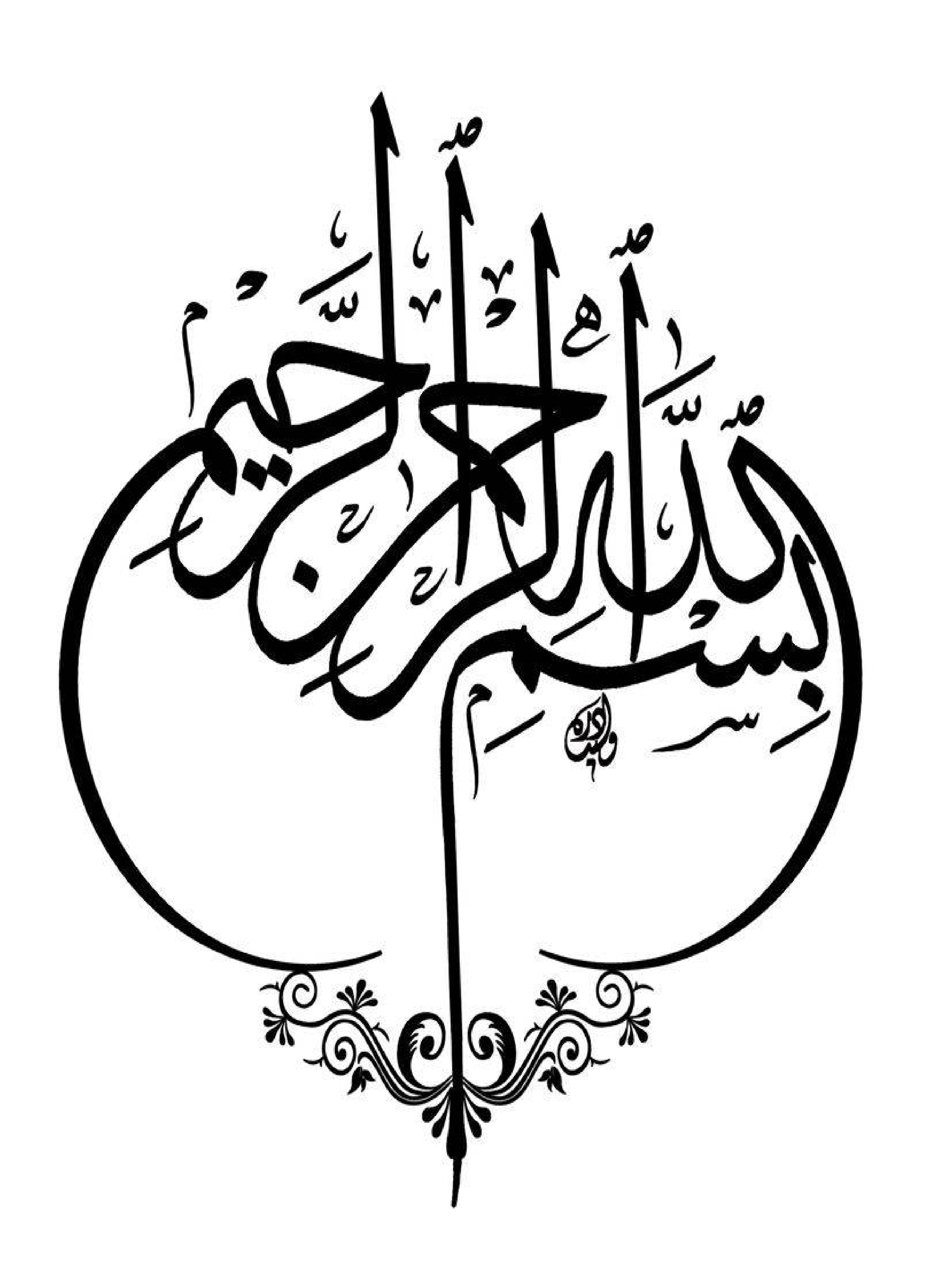
إشراف الدكتور:

رابح أولاد ضياف

لجنة المناقشة

الأســـــــــــتاذ	الرتـــــــــبة	الصـــــفة	الجامــــــــــــعة
أ.د/ كمال بن مارس	أستاذ التعليم العالي	رئيـــــــــسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
د/ رابح أولاد ضياف	استاذ محاضر "أ"	مـشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
د/ مسعود خالدي	أستاذ محاضر "أ"	مـــناقشـــــا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية 1438 - 1439هـ/ 2017-2018 م


بسم الله الرحمن الرحيم



اشكر الله رب العالمين صاحب العطاء والمنة على أن وفقني

على إتمام هذا البحث.

يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ

رابح أولاد ضياف الذي رافقني في متاعبي لحظة بلحظة

منذ بداية عملي معه وحتى الانتهاء منه فكان له الفضل الأكبر

في إظهار هذه الرسالة بهذا الشكل. إذ انه لم يدخر جهدا إلا وقدمه لي،

وهو الذي حرص على تزويدي بالكتب النادرة والمتعلقة بموضوع

الدراسة بين حين وأخر، فله أقدم اعترافي بالجميل

مع قناعتي بان هذه الكلمات لا تفيه حقه.

كذلك أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة التاريخ الوسيط

الذين لم يبخلوا علينا طوال هذه السنوات.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني

في هذه الدراسة على أي مستوى وبأي شكل خاصة القائمين على مكتبة

الجامعة .



الإهداء

إلى كل من سلك طريقا يلتمس فيه علما.

إلى من وقفت إلى جانبي سنة كاملة تشجعني

وتدفعني للوصول إلى ما أصبو إليه.

إلى والدتي العزيزة

إلى والدي الكريم أطال الله في عمره وأعطاه الله

الصحة والعافية

إلى أساتذتي الكرام الذين قدموا ألينا نصائح

ومجهودات

إلى عائلتي الكريمة إخوتي وأخواتي وزملائي الكرام

وأحبتي الأعزاء.

نورة

جدول الاختصارات

د ط	دون طبعة
د س	دون سنة
ج	جزء
ق	قسم
مج	مجلد
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
إش	إشراف

خطة البحث

مقدمة

الفصل الأول: مدخل مفاهيمي

المبحث الأول: أصل الشام

المبحث الثاني: الإطار الجغرافي لبلاد الشام

المبحث الثالث: أصل المماليك

المبحث الرابع: الحدود الجغرافية للمماليك

الفصل الثاني: طبقات المجتمع في بلاد الشام في العصر المملوكي

المبحث الأول: طبقة المماليك

المبحث الثاني: طبقة المعممين

المبحث الثالث: طبقة العامة

المبحث الرابع: الطوائف الدينية

الفصل الثالث: مظاهر المجتمع الشامي المملوكي

المبحث الأول: المنازل والقصور

المبحث الثاني: الملابس

المبحث الثالث: العادات والتقاليد

أولا: الطعام

ثانيا: الأسواق والحمامات

ثالثا: الزوايا وتشييع الجنائز

المبحث الرابع: الرسوم والاحتفالات

أولا: الزواج

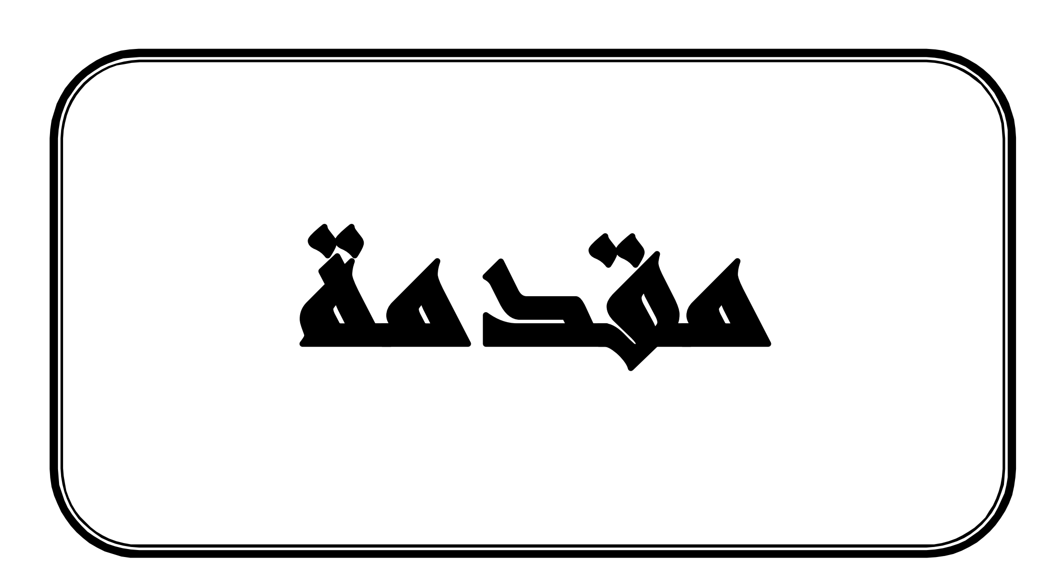
ثانيا: الأعياد

المبحث الخامس: مكانة المرأة المملوكية

خاتمة

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع


مقدمة

تناولت معظم الدراسات التاريخية الحديثة للعصر المملوكي، النواحي السياسية والعسكرية والاجتماعية، أما النواحي الاجتماعية فقد كان البحث فيها قليلا، رغم ذلك كان هناك مقدار من العزم للخوض في مثل هذه الموضوعات، فاخترت عنوان البحث الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر المملوكي غير أنه نجد أن الحياة الاجتماعية في بلاد الشام خلال العصر المملوكي تتميز بالتغيير وعدم الاستقرار.

والمقصود بالحياة الاجتماعية هي دراسة نواحي النشاط الإنساني في ميادين الطعام واللباس والأعياد والزواج والأفراح، لذلك يتعذر علّي أن ألم بجميع أطراف الحياة الاجتماعية، هذا ما جعلني أطرح الإشكالية التالية:

- كيف كان نمط معيشة الفرد الشامي خلال العصر المملوكي؟
- وما هي أهم انعكاسات الجانب الاجتماعي على بقية الجوانب الأخرى؟

اعتمدت المنهج التحليلي الوصفي لمعرفة الجوانب الاجتماعية في بلاد الشام خلال العصر المملوكي.

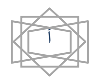
حدود الدراسة:

الشام خلال العصر المملوكي ومظاهرها الاجتماعية خلال الفترة الممتدة من 648 - 923هـ/1250 – 1517م.

مبررات الدراسة:

هناك العديد من الأسباب:

– يعود السبب في اختيار موضوع البحث وذلك من خلال السعي وراء حل المشكلة من خلال المعلومات التي تم جمعها حول هذه المشكلة وتحليلها واستخلاص النتائج الدقيقة التي من شأنها أن تشكل حلا ناجحا.
– أسباب تتعلق بأهمية موضوع البحث، حيث يشكل هذا العنوان قضية هامة تشغل بال معظم الأشخاص في المجتمع.



- كون قضية البحث جديدة ولم يتم البحث فيها من قبل، هذا مما جعلني أبادر في البحث وخوض الغمار.

وأبرز سبب الرغبة في معرفة الجوانب الاجتماعية لبلاد الشام والعادات والتقاليد السائدة في تلك الفترة كما نعلم أن المجتمع الشامي مجتمع ريفي بدوي له عادات.

خطة الدراسة:

وعلى هذا فقد قسم الموضوع إلى ثلاثة فصول وكل فصل مقسم إلى مباحث، الفصل الأول تضمن مدخل مفاهيمي، التعريف بالشام وأصل المماليك وجغرافية كل من الشام والمماليك.

- أما بالنسبة للفصل الثاني تضمن طبقات المجتمع في بلاد الشام في العصر المملوكي، حيث انقسمت إلى طبقة المماليك، وطبقة المعممين وطبقة العامة وأخيرا الطوائف الدينية.
- أما بالنسبة للفصل الثالث فقد تضمن الحديث عن المظاهر الاجتماعية لبلاد الشام خلال العصر المملوكي جاء كالآتي: وصف القصور والمنازل أما العنصر الثاني الملابس، والعنصر الثالث العادات والتقاليد تحدثت فيه عن الطعام والأسواق والحمامات وأخيرا الزوايا وتشييع الجنائز، والعنصر الآخر الرسوم والاحتفالات التي احتوت على الزواج والأعياد أما بالنسبة لآخر عنصر في الفصل كان بعنوان مكانة المرأة المملوكية وهي عبارة عن جملة استنتاجات للبحث متبعة ببعض الملاحق إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

صعوبات الدراسة:

أي بحث لا يخلو من الصعوبات لذا يجب تخطي تلك العراقيل ومواجهتها مهما كانت، ومن بين تلك العراقيل التي واجهتها:

- كما نعلم أن الدراسات تتحدث عن الجانب السياسي والاقتصادي على عكس الجانب الاجتماعي مادته ضئيلة.

- قلة المصادر والمراجع المتخصصة التي تتحدث عن الجانب الاجتماعي نادرة على عكس الجانب الاقتصادي.
- جميع المصادر تتحدث عن الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر المملوكي والشام ضئيلة.
- تشابه المعلومات في المصادر والمراجع لذلك يصعب الفصل فيها.
- صعوبة الوصول إلى المناطق التي تمثل مجتمع الدراسة نتيجة لبعدها عن الموقع.
- ومازالت تلك الدراسات حول الجانب الاجتماعي متواصلة رغم قلتها.

عرض المصادر والمراجع:

مما لا شك فيه أنه لا يمكن لأي باحث متخصص في دراسة التاريخ الوسيط الاستغناء عن المصادر المتخصصة مما أنها تعطينا إشارات غير أنه يقتضي الرجوع إليها، وقد تعددت هذه المصادر حيث أفادت هذه المذكرة ومن أهمها المقدسي (ت507هـ) بدأ المقدسي بتأليف كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم عام (375-885هـ) وكان قد بلغ الأربعين واستغرق إنجازه ثلاثة أعوام وكان من الجغرافيين العرب، حيث اعتمد المقدسي في منهجه على الكتابة والملاحظة والتدقيق، حيث زار صقلية حيث أفاد في كتابه في الجانب الاجتماعي وذلك من خلال ذكر أنواع الطعام التي كانت تزخر بها الشام.

اعتمدت كتاب القلقشندي (ت 821هـ) مؤلف كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء هو أحمد بن علي القرازي القلقشندي ويكنى بأبي العباس ولد سنة (756هـ) في قلقشندة وهي قرية قريبة من القليوبية قرب القاهرة وتوفي سنة (821هـ)، نشأ في بيت معرفة وثقافة حيث اطلع على كثير من الكتب في مختلف الفنون والدواوين الشعر وهو من المؤلفين المهمين في العصر المملوكي، ويعتبر كتاب صبح الأعشى مرجعا للكاتب يعود إليه، استفدت منه في الجانب الاجتماعي وخاصة الملابس وأنواع أطعمة الشاميين كذلك أفادني في تقسيم طبقات المجتمع الشامي. اعتمدت كتاب ابن إياس بعنوان بدائع الزهور (ت 929هـ) هو محمد بن شهاب الدين أحمد بن إياس أبو البركات الحنفي من أشهر شراكسة مصر وآخر دولة

السلطنة الشراكسية ولد بالقاهرة سنة (852هـ) عالم ومؤرخ مصري من المماليك كان أبوه متصلا بالأمراء وأرباب الدولة، وجده الأمير إياس الفخر الظاهري من مماليك الظاهر سيف الدين برقوق، حيث امتاز بالوقائع التاريخية من غيره من المؤرخين بالعادات والتقاليد الشامية والمملوكة وما يتعلق بالطعام والملابس بالإضافة إلى بعض المصطلحات، إضافة إلى ابن تغري بردي (ت 874هـ) بعنوان النجوم الزاهرة هو أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين بردي الأتابكي الظاهري مؤرخ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة كتاب من كتب السير والتراجع بدأ المؤلف كتابه بذكر فتح مصر على يد جيش المسلمين بقيادة الصحابي عمرو بن العاص ثم بدأ بذكر ملوك مصر قبل الإسلام، جمع المؤلف في كتابه من تولوا إمارة مصر قبل الإسلام إلى نهاية سنة (871هـ)، استعنت به في كيفية تقسيم المجتمع، وهناك مصادر أخرى كثيرة ومتعددة لم أذكرها.

- إضافة إلى المراجع فقد اعتمدت على كتاب ماير، الملابس المملوكية الذي استعنت به في الجانب الاجتماعي لباس المماليك.
- إضافة إلى كتاب محمود السيد ، تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي الذي أفادني في عادات وتقاليد وأكل ولباس الشاميين خلال العصر المملوكي، أما أهم كتب اعتمدتها وهي كتاب مبارك الطراونة الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر المملوكي.
- إضافة إلى غوانمة، التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوكي، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 1982.

الفصل الأول: مدخل مفاهيمي

المبحث الأول: أصل الشام

المبحث الثاني: الإطار الجغرافي لبلاد الشام

المبحث الثالث: أصل المماليك

المبحث الرابع: الحدود الجغرافية للمماليك

المبحث الأول: أصل الشام

من خلال دراستنا لهذا المبحث نجد أنه اختلف الجغرافيون والباحثون في تحديد أصل وتسمية بلاد الشام في حين نجد أنه هناك من يرى بأن تسميته بلاد الشام بهذا الاسم سميت شاما لأنها شامة الكعبة[1].

حيث يقول أحد المؤرخين أنها سميت الشام بسام بن نوح، وسام اسمه بالسريانية تشام، وبالعبرانية شيم[2].

في حين أنه من يرى بأنها سميت لشامات لها حمر وسود وبيض ولم ينزلها سام قط،وقال غيره سميت الشام لأنها عن شمال الأرض كما أن اليمن أيمن الأرض[3].

ومنه نجد أن كلمة تشام القين نزلوا الشام، أي أنه تيمن الذين نزلوا اليمن وشامة أي ذات الشمال، كما نجد العرب في الجنوب يطلقون اسم الشام على أجزاء المنطقة الشمالية من البلاد العربية[4].

ومازال اسم الشام يتردد على ألسنتنا على الرغم من الأسماء البديلة الرسمية فالناس في جميع أنحاء البلاد العربية عرفوا الشام من خلال التاريخ وتضطرهم ظروف لكي يعرفوا الشام من خلال الحدود السياسية، فيتناولون تسميات أخرى[5].

حيث يقول بعض الرواة إن اسم الشام الأول سورية وكانت أرض بني إسرائيل، قسموا الشام بسام بن نمر هدفوا فقالوا الشام[6].

---

[1] - إيمان أحمد حسين مقابلة، القرية في بلاد الشام في العصر المملوكي، إش: يوسف حسن درويش غوانمة، جامعة اليرموك، كلية الأدب، قسم التاريخ، 1998، ص21.

[2] - ابن عساكر، تاريخ دمشق، تح: محي الدين أبي سعيد عمر بن عوامة العمري، دار الفكر، دمشق، 1990، ج1، ص11.

[3] - نفسه، ص11.

[4] - نفسه، ص11.

[5] - عفيف البهيني، الشام والحضارة دراسة تاريخية، وزارة الثقافة، ط1، دمشق، 1986، ص24.

[6] - ابن عساكر، المصدر السابق، ج1، ص11.

وهناك من يرى بأن أرض الشام مختلفة الألوان بالحمراة والبياض والسواد كما تعلم بأن المصادر التاريخية، فسميت بذلك شاما، كما سمي الخال يبيم الإنسان شامة وجمعها شامات وقيل سميت شاما لكثرة قراها وتداني بعضها من البعض[1].

ومنه نستنتج أن اسم الشام، قد استعمله العرب وذلك لدلالة على جميع نواحي ومناطق البلاد الشمالية ،كما أن عرب الشمال، كانوا يطلقون اسم اليمن، بمتات ويمون على مناطق الجنوب[2]، قد تحدث عن ذلك في كتابه، وهذا يعني حسب الدراسات السابقة أنه تعددت تعريفات الشام حيث وجدت اختلاف كبير بين الرحالة الجغرافيين، كما نعلم أن المصادر التاريخية كانت قليلة التحدث ووضع إشارات بسيطة عن الشام[3].

---

[1] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 21.

[2] - عفيف البهيني، المرجع السابق، ص 24.

[3] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 21.

المبحث الثاني: الإطار الجغرافي لبلاد الشام :

ولا شك أن الظاهرة التضاريسية في بلاد الشام قد لعبت دورا هاما هذا الدور الفعال، كان السبب الرئيسي في تقسيمه دائما إلى دول، ومماليك متعددة، كما يسمى على جانبها المطل على دمشق جبل قاسيون ويتجاوز دمشق ويمر غربي بعلبك ويسمى، الجبل المقابل لبعلبك جبل لبنان[1].

كذلك توجد بالشام هضاب حاجزة منها الهضاب العالية في جنوب الشام في إقليم طبرية وهضبة اليهودية، وهضبة الأردن[2].

بالإضافة إلى الشام توجد الصحاري التي تباينت في تقسيم الشام إلى قسمين رئيسيين تضم مساحات واسعة من أراضي الشام إشتهرت باسم بادية الشام[3].

كذلك توجد في الشام السهول والمنخفضات، التي كانت فاصلا ما بين مناطق الشام متعددة وحتى المنطقة الساحلية فهو ينقسم أوسط وجنوبي[4].

وقد قسم الشام في عهد المماليك إلى ست أقاليم وأقسام إدارية كما سميت بالنيابات وذلك لأن المماليك جعلوا من القاهرة عاصمة لملكهم، كما نجد أنهم كانوا يعينون نوابا لهم على تلك الأقاليم[5].

وهذا يعني أنه نيابات بلاد الشام في عهد المماليك: دمشق وحلب وحماة وطرابلس وصفد وكرك، لم تنشأ وقت واحد وإنما أنشأت على عدة مراحل[6].

---

[1] - محمود السيد، تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، ص 22.

[2] - هضبة الأردن تقع هضبة الأردن الغربية في فلسطين وأخدود الغور الذي يجري فيه نهر الأردن. القلقشندي أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، 1997، ج4، ص83. نفسه، ص 22.

[3] - محمود السيد، المرجع السابق، ص 35.

[4] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص35. محمود السيد، المرجع السابق، ج4، ص22.

[5] - نفسه، ص 35.

[6] - القلقشندي، المصدر السابق، ج12، ص 199.

كما نعلم أنه الباحثين والمؤرخين قد إختلفوا إختلافا كبيرا خاصة في وضع الحدود الجغرافية لبلاد الشام على سبيل المثال يذكر أحد الباحثين يقول أن حدود الشام تمتد من الكوفة إلى الرملة ومن بالس إلى أيلة[1].

والملاحظ أن الجغرافيين إختلفوا في تحديد الحد الشمالي، لبلاد الشام خلال فترات متعاقبة من الزمن، وقد أدى ذلك إلى عدم ثبات الحدود الجغرافية بسبب تلك التغيرات والتطورات، كما حددها الرحالة العرب، فقالوا نجد بلاد الشام من الشرق نهر الفرات والبادية من أيلة إلى الفرات[2].

وبتحديد أكثر من البلقاء إلى مشاريق صرخد.[3] أخذ على أطراف الغوطة إلى سلمية إلى مشاريق حلب إلى بالس، هذا وإن دل على شيء إنما يدل على أن الشام بحكم تضاريسها جعلها تحتل موقع جغرافي هام، هذا جعل منها جغرافية ذات حدود لها أهمية بالغة بين البلدان الأخرى المجاورة وغيرها من بقية المناطق[4].

هذا من الناحية من بالس مع الفرات إلى قلعة نجم ثم إلى البيرة إلى قلعة الروم إلى سميساط إلى حصن منصور إلى مرعش إلى بلاد سيس إلى طرطوس، أما من الناحية الجنوبية حد مصر وتيه بني إسرائيل، وآخر حدودها مما يلي مصر ورفح مما يلي الروم الثغور[5].

في حين هناك من يحدد من الناحية الجغرافية لبلاد الشام أنه يحدها من الغرب البحر المتوسط، ويحدها شمالا آسيا الصغرى وجنوبا حد مصر[6].

---

[1] - إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 23.

[2] - القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادرة، بيروت، 1969، ص 205.

[3] - محمد كرد علي، خطط الشام، دط، بيروت، 1969، ج1، ص9. إيمان احمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 24.

[4] - نفسه، ص 24.

[5] - القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص 130.

[6] - الإصطخري، مسالك الممالك، ليدن، 1927، ص 55. محمود السيد المرجع السابق، ص 22.

أما شيخ الربوة فيقول: "إن حدود بلاد الشام[1] تمتد من ملطية[2] إلى العريش، ومرعش[3]، وصافتا والمصيصة[4]، سبعة وعشرون يوما إلى العريش وصافتا وعرضه من الأعراض من منيج على الفرات إلى طرطوس، ومن هنا جعل شيخ الربوة مدينة منيع أول مدن الشام على الرغم من أن مدينة بالس على الفرات أول من الشام[5].

الرحالة إختلفوا إختلافا كبيرا في حدود بلاد الشام فقد حاول كل منهم ذكر حدودها حيث تقسم المنطقة في عصرها أما كور أو أخباء فحيث نجد عند ابن الفقيه اعتبرت بلاد الشام وحدة بلدانية متكاملة، حيث أطلق عليها عنوان القول الشام.أما الإصطخري فقد كان أكثر تحديدا من ابن الفقيه، حيث أعتبرها وحدة جغرافية بقوله: "أرض الشام في الفصل الخامس بها وحاول رسم، خريطة توضيحية لها"[6].

في حين يصنف الإصطخري وهو يتحدث عن الحدود الشمالية لبلاد الشام أنها مما يلي الروم وهي ملطية والحدث ومرعش والهارونية وعين زربة وهي ثغور وتقع اليوم في تركيا[7].

ومن خلال الدراسة لهذه الآراء نصل إلى أنه الإصطخري يتفق مع ابن حوقل والمقدسي في تمديد أقسام أو أحياء بلاد الشام فيرون أنها فلسطين والأردن ودمشق وحمص ويضيفون إليها الجبال والشراه، في حين يرى المقدسي أن دمشق هي المكان الوحيد في إقليم

---

[1] - إيمان أحمدحسين مقابلة، المرجع السابق، ص 22.

[2] - ملطية: بلد من بلاد الروم تتاحم الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان والأسماء، دار الصادرة، ط2، بيروت، ج5، 1995، ص 192. إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 23.

[3] - مرعش: من مدن الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 207.

[4] - المصيصة: هي مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم. نفسه، ص 144.

[5] - طرطوس: مدينة الثغور بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 23.

[6] - الإصطخري، المصدر السابق، ص55. إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 29.

[7] - الإصطخري، المصدر السابق، ص56. عفيف البهيني، المرجع السابق، ص 25.

الشام الذي يصح أن يسمى مصرا[1]، ومصر عنده كل بلد حله السلطان الأعظم وجمعت دواوين وقلت منه الأعمال وأضيفت مدن إقليم مثل: دمشق فقد استخدم المقدسي لفظ الشام ويقصد بذلك الشام كوحدة جغرافية[2].

أما ابن حوقل: "فقد كان أكثر تحديدا لبلاد الشام إذ قال يحد الشام من غربها بحر الروم وشرقها البادية من أيلة إلى الفرات ثم من الفرات إلى حد الروم وشمالها، وجنوبها مصر وتيه بني إسرائيل، وآخر حددها مما يلي مصر ورفح يلي الروم الثغور المعروفة قديما بثغور الجزيرة وبين ملطية والحدث ومرعش والمصيصة[3].

إذن ومن خلال دراستنا لهذا المبحث الذي يندرج ضمنه جغرافية بلاد الشام نصل إلى أن أغلب المؤرخين إتفقوا على أن حدود بلاد الشام تمتد من الفرات إلى العريش[4] ومن طيء نحو القبلة،بالإضافة إلى أنه حدود بلاد الشام إذن وبحسب ما رواه الجغرافيون الرحالة الأوائل وهي تقريبا 200 سورية الحالية، ولبنان وفلسطين والأردن وسيستا[5].

بلاد الشام هي المنطقة الشمالية من الأرض الغربية كما يدل عليها لفظها وهذه الأخيرة لعبت دورا أساسيا في تكوين الحضارة العربية قبل الإسلام[6].

بلاد الشام كانت لها حدود جغرافية طرحت من خلالها تباينات حول الرحالة والباحثين بطبيعة الحال كانت أيضا لها موقع فلكي يميزها عن غيرها من البلدان الأخرى الشقيقة،

---

[1] - المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبع بريل ،ليدن،1877. ص56. عفيف البهيني، المرجع السابق، ص 26.

[2] - المقدسي، المصدر السابق، ص151.

[3] - ابن حوقل أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات المكتبة الحياة، دط، بيروت، دس، ص153. إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص22. إيلية: مدينة على ساحل بحر الروم القرم مما يلي الشام وحتى آخر الحجاز والشام. نفسه، ص 22.

[4] - عفيف البهيني، المرجع السابق، ص 26.

[5] - إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 23.

[6] - عفيف البهيني، المرجع السابق، ص 26.

أما بالنسبة لموقعها الفلكي فتقع ما بين خطي طول °24 و°27 وخطي عرض °31 و36°[1].

في حين تبلغ مساحة بلاد الشام، فقدرها الرحالة حسب الفترة الزمنية التي تستغرق في قطعها فقد ورد أن طولها من الفرات: العريش بنحو شهر، أما عرضها من جبلي طيء[2]، آجا نحو القبلة إلى نحو الروم البحر المتوسط ومقداره عشرون يوما[3].

[1] - إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص. ص 21-29.

[2] - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 112.

[3] - إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 21.

المبحث الثالث: أصل المماليك

أ - المملوك لغة:

اسم مفعول جذره مادة ملك وبجمع على معاني وهو العبد الذي سبي ولم يملك أبواه، والعبد القن الذي ملك هو وأبواه والمملوك يباع ويشترى[1].

المملوك العبد ويقال: هو عبد مملكة الآخر عن أبي الأعرابي وإذا ملك ولم يملك أبواه وفي التهذيب الذي سبي ولم يملك أبواه وابن سيده لحق عبيد أي قن[2].

ويقال هم عبيد مملكة وهو أن يقلب عليهم واستعبدوهم أحرارا[3].

وتسمية المماليك معنى إصطلاحيا خاصا في التاريخ الإسلامي فأصبح يقصد بالمماليك جموع الرقيق الأبيض، الذين يصلون إلى الديار المصرية والبلاد الشامية صبيان الشراء أو فتيات كأسرى حرب[4].

والمماليك مفرده مملوك ويقصد به التعبير عن العبودية والرق[5]، وأصله المملوكي من إمتلاك الشيء[6].

إذن فهو العبد الذي يمتلك حريته فهو ملك لغيره وليس لنفسه[7].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، دما، بيروت، 2010، ص493. طواهري نسرين، تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك بمصر 923/658هـ، اش: رابح أولاد ضياف ،جامعة قالمة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، 2017، ص 23.

[2]- ابن منظور، المصدر السابق، مج6، ص 1119.

[3]- نفسه، ص4267.

[4]- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار الحياة، دط، بيروت، 2010، مج07، ص 181.

[5]- قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، دم، 2009، ص153.

[6]- محمد عبد المنعم الجمل، معالم تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص211.

[7]- محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1980، ص 124.

المملوك هو العبد الذي يباع ويشترى وجمعها مماليك وقد إقتصرت على فئة من الرقيق البيض الذين كان يجلبهم التجار غير العرب من أسواق النخاسة[1] البيضاء لاستخدامهم كطرق عسكرية، خاصة بهدف الاعتماد في تدعيم نفوذهم. وكان ذلك منذ عهد الخليفة العباسي ثم المعتصم على فئة الرقيق الأبيض[2].

أول خليفة أدخل الأتراك الديوان، وكان تتشبه بملوك الأعاجم وبلغت غلمانه الأتراك[3].

حيث كان للأتراك أهمية في الجيش العباسي المماليك والنزاعات الإستقلالية في الدول العباسية،حيث صار للمملوك الأداة العربية الوحيدة في بعض الدول مثل دولة المماليك في الشام[4].

المماليك هم فئة من الرقيق إذن هم الترك والجركس، والزنوج والفرس وغيرهم، ويعتبر الفاطميون أول من إستعان بالمماليك الأتراك في مصر من أجل تثبيت السلطة فثبتها بالعباسيين في بغداد، فنجد مثلا الملك الصالح نجم الدين يثبت ملكه بدماء جديدة حيث استكثر من شراء المماليك الأتراك فأنشأهم تنشأة عسكرية[5].

وعندما زاد عددهم في البلاد رأى أن يبني لهم قلعة بجزيرة الروضة يقيهم بها، ومن هنا جاء تسميتهم بالمماليك البحرية والتي آل الحكم البلاد فيها بعد إلى أيديهم فقامت دولتهم[6].

والقسم الثاني مماليك البرجية وهم شراكسة عهد السلطان قلاوون من أجل تدعيمه[7].

---

[1] - أحمد عودات وآخرون، تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري، دار الكندي إربد، بيروت، 1990، ص 61.

[2] - سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط1، بيروت، 1997، ص 10.

[3] - السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار إبن حزم، ط1، 2003، ص 265.

[4] - أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص ص 9-11.

[5] - ريهام المشادي، الظاهر بيبرس واستعادة إمارة أنطاكية، المملكة العربية السعودية، صحفية بجريدة المدينة، السنة الثانية، العدد 3 ص 15..

[6] - أحمد عويدات المرجع السابق، ص 70.

[7] - إبراهيم طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، دم، القاهرة، 1960، ص 08.

وهناك من يرجع أصولهم من آسيا الوسطى قبل أن يستقروا بمصر، والتي أسسوا بها دولتين متعاقبتين كانت عاصمتها القاهرة وتمكنوا من إنشاء دولة حكمت في الفترة 648-923هـ/1250-1517م[1].

نجد أنه هناك اختلاف كبير بين الباحثين في وضع تعريف محدد للمماليك فهناك من يعرفهم على أنه المملوك شديد التمسك بسيده أو أستاذه الذي اشتراه وقام بتربيته وكانت رابطة الأستاذ بمماليكه لانفصام لها، فقد كانوا يخلصون له في السراء والضراء ويكون إشارته بوجههم كيفما شاء لتحقيق مآربه ،كان للمماليك نظام خاص يبدأ منذ اللحظة التي كانت يتم فيها شراء السلطان للمملوك، فكان يرسل مباشرة إلى الثكنات المخصصة للسكن، كان يبعث مملوك الجديد إلى الطبيعة المخصصة لبني حسينة[2].

إذن يبدو إستخدام المماليك الأتراك في الوظائف الكبرى للدولة يرجع إلى بداية العصر العباسي الأول، حيث استخدم المأمون عددا كبيرا منهم، في الحراسة ثم جاء بعده المعتصم، فتوسع في إستخدام المماليك الجراكسة كقياد للجيش[3].

المماليك إذا كانوا رقيقا من النوع الخاص الذي اعتمد عليهم حكام الشرق الإسلامي لاسيما مصر والشام، ومع ازديادهم (عددهم) هذا أدى إلى بروز أهميتهم في دوائر الحكم، بشكل مطرد[4].

المماليك فكانوا الطبقة العسكرية الممتازة التي سيطرت على البلاد ولهم في أصلهم ونشأتهم وطريقة تربيتهم وأسلوبهم الخاص في الحياة وعدم اختلاطهم بأهالي البلاد[5].

---

[1] - نسرين طواهري، المرجع السابق، ص 28.

[2] - حموي عبد المنعم حسن، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 156.

[3] - أحمد مختار العبادي، التاريخ الأيوبي والمملوكي، المرجع السابق، ص 05.

[4] - قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 129.

[5] - سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عهد سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992، ص 12.

هذا يعني أنه إزداد عدد المماليك والأتراك في الدولة العثمانية أهمية حيث أمنح منهم الولاة والوزراء وأرباب الدولة،حيث يعد نظام الملك الوزير الكبير للسلطان السلجوقي هو أساس النظام التربوي المملوكي[1].

حيث ذهب فريق آخر إلى وضع تعريف آخر للمماليك على أنهم كانوا يستخدمونهم السلاطين والأمراء في تسيير المهام الإدارية والمهام الأخرى كالقصور[2].

وقد ذكر ابن خلدون نسب هؤلاء المماليك أنهم كانوا من أولاد يافت بن نوح عليه السلام وهو بالنسبة للعرب من أبناء عامور بن سويل بن يافت ومن جهة الروم فهم من أبناء طيراش بن يافت أو الترك أجناس كثيرة ولشعوب مختلفة فمنهم الروس ومنهم اللان والخفجاق واليماطلة والخلج والغزوكيك والقورأركس والضطر[3].

---

[1] - إيناس حسن البهجي، دولة المماليك البداية والنهاية، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، جامعة اليرموك، 2010، ص 32.

[2] - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ص 227.

[3] - ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تح: خليل شحاذة، دار الكتب بيروت، ج5، ص 38.

المبحث الرابع: الحدود الجغرافية للمماليك:

أما بالنسبة للموقع الجغرافي لدولة المماليك له أهمية إستراتيجية من حيث حيازتها على أقاليم الشام ومصر، فكان له دور كبير وجد بالغ وكان ذلك من خلال بسط نفوذها واحتلالها المكانة والركازة التجارية، وغير ذلك. إذن المماليك لها إطار جغرافي جد واسع، حيث تمتد من نهر الفرات شرقا إلى الصحراء الليبية غربا ومن الشمال يحدها كل من نهر الفرات ومملكة أرمينيا الصغرى إضافة إلى بحر المتوسط أما في الجهة الجنوبية تحدها اليمن[1].

إذن موطن المماليك الأتراك بلاد القفجاق شمالي البحر الأسود وبلاد القوقاز قرب بحر قزوين[2].

حيث اشتهر المماليك بأنواع الرقيق الأبيض وذلك نتيجة لاتصالهم وقرب مسكنهم الأصلي في أواسط آسيا بالعالم الإسلامي في حين نجد أصولهم تقود إلى مناطق آسيوية وأوربية[3].

سواء كان منهم التركي أو الجركسي أو الرومي أو الزنجي وحتى الفارسي،حيث نجد أنه سلاطين البلد وأمراءهم عهدوا إلى شرائحهم، لاستخدامهم في حجر دار الخلافة[4].

ومنه نستنتج أن المماليك يصعب تحديد إطارهم الجغرافي لكونهم جاؤوا متفرقين ومختلطين، لكنهم استقروا بمصر[5].

ومن خلال دراستنا لهذا المبحث نصل إلى أنه هناك من يعتبر المماليك أنهم تم جلبهم إلى مصر وساروا على نفس منهج الإخشديين[6].

كما نستنتج أيضا أنه النحاسون يخطفون الأطفال ويستولون عليهم عنوة ثم يعرضونهم للبيع[7].

---

[1] - نسرين طواهري، المرجع السابق، ص 30.

[2] - سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 177.

[3] - أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 6.

[4] - طواهري نسرين، المرجع السابق، ص 30.

[5] - نفسه، ص 30.

[6] - أحمد عودات، المرجع السابق، ص 63.

[7] - أحمد شيلي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990، ج5، ص 215.

الفصل الثاني: طبقات المجتمع في بلاد الشام في العصر المملوكي

المبحث الأول: طبقة المماليك

المبحث الثاني: طبقة المعممين

المبحث الثالث: طبقة العامة

المبحث الرابع: الطوائف الدينية

المبحث الأول: طبقة المماليك:

ومن دراستنا لفئات المجتمع الشامي في العصر المملوكي اتسمت بتفاوت المستوى الاجتماعي لفئات السكان بين فئة الأمراء والمماليك وكبار الموظفين من رجال الدولة في المجتمع مع قوة وثروة للدولة[1].

حيث يشكلون الطبقة العسكرية الممتازة التي استأثرت بالحكم وشؤون الحرب ونظرا لهؤلاء المماليك الأهالي على أنهم اقل منهم درجة. حيث تشير الشواهد التاريخية إلى أن المماليك جاؤا إلى مصر مع تجار الرقيق حيث يشكل هؤلاء التجار على جلب الرقيق[2].

وقد عين سلاطين المماليك عناية فائقة بمماليكهم ،وحرصوا على تربيتهم تربية سليمة ،وكان السلطان إذا اشترى عددا من المماليك فانه يرسلهم أولا إلى الأطباء ليفحصوهم، ويلاحظ دائما أن المملوك يتحرر ويصبح أمير ويقتني بدوره عددا من المماليك فانه يوليهم حظا من العطف والرعاية، فكان الأمير لا يأكل إلا وجميع أجناده معه ويأخذ غلمان جنده الطعام كل يوم، وتدق على بابه ثمانية أحمال طبلخاناة[3].

وهناك وظائف أخرى الشرابخاناة[4]، وكان الإقطاع في العصر المملوكي لا دخل لحقوق الملكية أو حكام الوراثة فيه فئات المحل يحل في الإقطاع محل السلطان ليتمتع بغلاته

---

[1] - مبارك طراونة، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر المملوكي الجراسكة، دار جليس الزمان، عمان، 2010، ص 122.

[2] - الزربا، الحياة الاجتماعية في دمشق في العصر المملوكي، اش: مصطفى الجياري، الجامعة الأردنية، كبية الآداب، قسم التاريخ، 1980، ص 9495.

[3] - الطبلخاناة: مكان خاص لفظ الطبول والأبواق وما يتبعها من الآلات وهي كلمة فارسية يقصد بها أيضا فرقة الموسيقى السلطانية، وقد جرت العادة أن تدق مرة كل ليلة بعد ميلاد المغرب، القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 22. الزربا، المرجع السابق، ص 99.

[4] - الشرابخاناة: بيت الشراب ويكون مختلف أنواع الأشربة ومنها الأدوية التي يحتاج إليها السلطان فضلا عن أواني نفسية متنوعة من الطين. القلقشندي المصدر السابق، ص 10. الزربا المرجع السابق، ص 100.

وإيراداته ثم يؤول جميعه إلى السلطان بمجرد انتهاء مدة الإقطاع المتفق عليها أو بسبب وفاة المقطع إذا كان الإقطاع مدى الحياة[1].

ونلاحظ انه لم تقتصر الاقطاعات في العصر المملوكي على الأراضي بل تعدتها إلى جميع موارد الدولة، وصارت الاقطاعات تدر من جهة الملوك على سائر الأموال خراج الأراضي[2].

وتنقسم فئة المماليك إلى قسمين هما: الأجناد والأمراء وكان لتربيتهم في الطبقات اثر في انعزالهم عن المجتمع كما أنهم اثروا عدم الزواج من أهل البلاد بل اختاروا زوجاتهم وجواريهم من بنات جنسهم[3].

أولا: الأمراء:

حسب النظام العسكري المملوكي ينقسمون إلى أربعة رتب عسكرية وهي أمير مائة، أمير طبلخانة، وأمير خمسة، وأمير الشرة[4].

حيث يذكر أحد المؤرخين أن نيابة بلاد الشام على النحو التالي نيابة الشام ونيابة حلب نيابة طرابلس ونيابة حماة وغزة والعراق[5].

حيث جرت العادة أن تعين على رأس كل نيابة أمير كبير برتبة أمير مائة[6].

أمير المائة: وله إمرة مائة يشتريهم من مال إقطاعه ومن صلاحياته قيادة ألف جندي من جنود الحلقة[7]، وكان الواحد فيهم يخاطب في دمشق بالعالي ثم المجلس العالي، أما حلب

---

[1] - القلقشندي، المصدر السابق، ج13، ص 153. الزريا، المرجع السابق، ص 101.

[2] - القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص 117.

[3] - مبارك طراونة، المرجع السابق، ص 123.

[4] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 15.14.

[5] - المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج3، ص 120.

[6] - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1963، ج10، ص 200.

[7] - القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص14. خصارنة، المرجع السابق، ص15. الباز العريني، المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1967، ص 148.

فكان أمراؤها يخاطبون بالمجلس العالي ثم المجلس السامي، أما طرابلس وأمراؤها يخاطبون بالمجلس السامي[1].

أمير الطبلخاناة: يأتون في المرتبة الثانية ومن صلاحياتهم أن يسلك أربعين ملوكا[2].

هؤلاء الأمراء يخاطب بالمجلس السامي بالياء أما البقية فهم الأكثرية يخاطبون في مصر والشام بالسام بغير الياء[3].

امراة العشرة:

ويأتون في المرتبة الثالثة ويمتلك كل واحد منهم عشرة مماليك[4].

ويخاطبون مجلس الأمير فإذ زيد قدم احدهم بالمجلس السام[5].

امراة الخمسة:

وهم المرتبة الرابعة والأخيرة يتبع لكل واحد منهم خمسة مماليك[6].

أكثر من كان منهم الإمرة على أبناء الأمراء الذين ترفدوا وذلك تقدير لإبائهم وكان يطلق عليهم أولاد الناس[7].

ويضاف إلى هذه المرتبة طائفة الأجناد من الجند ويعاد لهم القرانيص وهم قديموا الهجرة ولم يتطرقوا للرتب العالية[8].

[1] - خصاونة، المرجع السابق، ص 15.

[2] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص15. خصاونة، المرجع السابق، ص 17. الباز العريني، المرجع السابق، ص 151.

[3] - خصاونة، المرجع السابق، ص17.

[4] - الباز العريني، المرجع السابق، ص 152. خصاونة، المرجع السابق، ص 17.

[5] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 15.

[6] - نفسه، ج4، ص 22. خصاونة، المرجع السابق، ص18. الباز العريني، المرجع السابق، ص 152.

[7] - خصاونة، المرجع السابق، ص 18. الباز العريني، المرجع السابق، ص 152.

[8] - خصاونة، المرجع السابق، ص 19.

حيث كان الأمراء يمتلكون الاقطاعات فكل من يملك نيابة الشام تضاف إلى اقطاعة بصرى واكراك الشرقي والغزلانية ويشرف على إقطاع النيابة عادة استادار وناظر ديوان ومباشروان[1].

الأجناد وهم القسم الثاني من المماليك وتوزعوا على نيابات الشام كل نيابة حسب أهميتها[2].

أرزاق الجنود:

يقظون مرحلة تدريبهم بحيث يتسلمون في البداية ثلاثة دنانير ثم خمسة ثم سبعة دنانير ثم عشرة دنانير، لكن الأمراء لم يلتزموا بذلك فكانوا يأخذون أكثر من النصف لأنفسهم ويوزعوا الباقي على مماليكهم مما أدى إلى صدور قرارا بالإضافة إلى الجرامك فقد حصل المماليك على الكسوة كانت توزع عليهم سنويا وتوزع في الشتاء والصيف، بلغ ذلك زمن السلطان حق من ثلاثون ألاف درهم[3].

وقد تمتع المماليك السلاطين كما يبدو ذلك:

أ. وظائف أرياب السيوف:

تقسيم الجيش المملوكي بشكل عام إلى ثلاثة أقسام[4].

1) المماليك السلطانية وهم مشيريات السلطان، وما تبقى عنده من مماليك من سبقه في السلطنة ومرتباتهم جميعا من ديوان المفرد[5].

---

[1] - ابن شهبة، الدر المنتخب في مملكة حلب،تق:عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي عام التراث، دمشق، 1984، ص 261.

[2] - مبارك طراونة، المرجع السابق، ص 123. خصاونة، المرجع السابق، ص 31.

[3] - الباز العريني، المرجع السابق، ص 202، خصاونة، المرجع السابق، ص 33.

[4] - الزربا، المرجع السابق، ص 168.

[5] - ديوان المفردة: هو الديوان الذي يتولى نفقة المماليك السلطنة من كسوة وإجراءات للبلاد المفردة له، القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص 457.

2) أهل الحلبة وهم من الجند النظامي وحرس الوالي الخاص[1].

تمتع المماليك بمستوى معيشي وبوضع اقتصادي عالي وذلك لكثرة ما يمتلكون من اقطاعات التي تمنح لهم بذل الخدمات العسكرية، وهذه الاقطاعات أن تعادل ما كان يمنح للأمراء المماليك، حيث كانوا يجمعون الأموال والخيول والثياب الفاخرة وغيرها[2].

كما اشرفوا أيضا على بعض المؤسسات الدينية ولكثرة ما تمتعوا به من ثراء، هؤلاء عاشوا مترفين في كل مظهر من مظاهر حياتهم فقصورهم كانت تحاكى قصور السلجوقي وكل أمير كان يتخذ لون يعينه لطلاء داره وملحقاتها[3].

حيث ارتكب المماليك المظالم وتعسفوا، ونكلوا بالناس من الفئات الاجتماعية، فخاصة في نهاية العصر المملوكي، ولم تكن علاقة المماليك ببعضهم يسودها التفاهم بشكل دائم، فقد شهدت بلاد الشام العديد من حركات التمرد والعصيان والمؤامرات لاحتيال أو الخلع والعزل.[4]

---

[1]- أجناد الحلقة من أهم أقسام الجيش المملوكي من حيث حيازة الاقطاعات فهم قلب الجيش المملوكي والأصل في توزيع الإقطاعي. الزريا، المرجع السابق، ص 168.

[2]- مبارك طراونة، المرجع السابق، ص 124.

[3]- نفسه، ص 125.

[4]- المقريزي، السلوك، المصدر السابق، ج4، ص ص 215، 219.

المبحث الثاني: طبقة المعممين

شكل المتعممون الفئة الثانية بعد فئة المماليك وتتألف هذه الفئة من الفقهاء والعلماء والأدباء والكتاب والمدرسين، والقضاة والرعاة[1]، حيث يضاف إليهم المحتسبين والأئمة والقراء، واقتصرت هذه الفئة على سكان البلاد الشامية من العرب[2].

حيث حظيت هذه الفئة بمكانة ورعاية، حيث شكلت لهم نقابة ورئاسة للمتعممين[3].

حيث أسندت للمتعممين وظائف عدة كالقضاء وكتابة السر ومشيخة الشيوخ، والجوالى[4].

كما حرصت الدولة على تمييز المتعممين والاعتناء بأمورهم، حيث شكلت ما عرف بالنقابة المتعممين ورئاسة المتعممين، كما كان لهم مركز الصدارة[5].

كما نجد أن المماليك بعد تسلمهم سدة الحكم لقوا معارضة شديدة من قبل أفراد المجتمع[6].

كما نجد أن المتعممين حضيوا باحترام وتقدير السلاطين المماليك للإضفاء الشرعية على حكمهم ليكونوا حلقة وصل بينهم وبين السكان[7].

أما مظاهر احترام المماليك للعلماء فهي كثيرة ومتعددة تتمثل في نهوض بعض السلاطين وقيامهم حيث اتصف بعض سلاطين المماليك بتعظيمه وحبه وإجلاله للعلماء، وحب مجالسهم والتواضع معهم[8].

---

[1] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 45.

[2] - مبارك طراونة، المرجع السابق، ص 12.

[2] - نفسه، ص 129.

[3] - نفسه، ص 132.

[4] - المقريزي، السلوك، المصدر السابق، ج3، ص 480.

[5] - أحمد خصاونة، مرجع سابق، ص 61

[6] - العبادي، قيام دولة المماليك الأولى، المرجع السابق، ص131. أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 60.

[7] - مبارك طراونة، المرجع السابق، ص 131.

[8] - نفسه، ص 132.

ولم تقل مكانة المتعممين بين أفراد المجتمع الشامي عنها عند السلطة الحاكمة فقد اعتاد الناس إظهار الاحترام لهم بتقديمهم في الأسواق عند البيع والشراء على أنفسهم، كما كان لبعض القضاة منزلة رفيعة ومهابة عظمية عند الأمراء والسلاطين لمخاطبتهم أفراد السلطة الحاكمة، كما نجد أنهم تمتعوا ببسط عيشهم وظهر أثرها على ملابسهم الفاخرة[1].

وامتلاكهم المجلدات النفسية والثمينة كما دلت ضخامة التقادم الهدايا التي كانوا يقدمونها للسلاطين على مدى ثرائهم المادي[2].

كما أجرت عليهم أرزاق عينية من اللحم والتوابل والدقيق والسكر في المناسبات الدينية والأعياد وغيرها[3].

تأثر المتعممون كغيرهم من طبقات المجتمع بالفساد الذي عمر أجهزة الدولة المملوكية، حيث انتقلت المباحث الدينية من الإباء إلى الأبناء بالوراثة وغير بعض القضاة في سبيل الحصول على منصب القضاة أكثر من مرة[4].

حيث دفعت مسألة تولي القضاة لأشخاص لم تتوفر لديهم أهلية الحكم كالاجتهاد والمعرفة الفقهية، حيث انقسم المتعممين إلى:

أ. أرباب الوظائف الدينية:

تشكلت هذه الفئة من مجموعة من الوظائف هي قضاء القضاة، اقتناء دار العدل، وكالة بيت المال[5].

كما نجد أنها تأثرت بالوظائف الدينية كغير بالفساد الذي حل جميع أركان الدولة المملوكية[6].

---

[1] - مبارك طراونة، المرجع السابق، ص 122- .133.

[2] - الصيرفي، المصدر السابق، ج1، ص 93.

[3] - سعيد عاشور، المرجع السابق، ص 25.

[4] - مبارك طراونة، المرجع السابق، ص 136.

[5] - القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص 199.

[6] - نفسه، ص 197.

ب. أرباب الوظائف الديوانية:

وهم الفئة الثانية من فئات المتعممين وقد عملوا في عدة وظائف هي الوزارة، نظار الجيش، نظار المهمات الشريفة ،نظر الخاص، نظر الخزانة، نظر الجامع الأموي[1] نظر خزائن السلاح[2].

ومما تقدم يتضح لنا انه انعكس تدخل المتعممين في الأحداث السياسية على علاقاتهم بالمماليك التي لم تكن دوما حسنة فقد تخللها أحيانا تعرضهم لبعض المظالم التي اتخذت أشكالا متمثلة في السجن، النفي والضرب والتوبيخ وغيرهم[3].

أيضا يتضح لنا أن علاقة المتعممين ببعضهم لم تكن حسنة على الدوام فقد انتشر بينهم الحسد والبغض التي أدت إلى الاشتباك والضرب وتطورت إلى حد تكفيل بعضهم البعض[4].

---

[1] - نظر الجامع الأموي في الغالب يكون مع قاضي القضاة الشافعي، القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص 198.

[2] - نظر خزائن السلاح: وموضوعها التحدث في كل ما يستعمل من سلاح. خصاونة، المرجع السابق، ص 91، القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 32.

[3] - مبارك طراونة، المرجع السابق، ص 134.

[4] - نفسه، ص 157.

المبحث الثالث: طبقة العامة

أ. فئة التجار:

كان لهم دور كبير في فترة العصر الوسيط فقد كانت وافدا هاما ومن هنا جاء اهتمام المماليك بهذا الرافد فعملوا على تطويره حتى صاروا الوسطاء والتجارة الدولية، كما تمتعوا بمستوى معيشي اجتماعي عال حيث امتلكوا الحمامات والخانات وأنفقوا عليها مبالغ كبيرة[1].

فقد كان الشام من أفضل المناطق الزراعية حتى ان منتجاتها كانت تصدر إلى الخارج، وازدهرت الصناعة كصناعة النسيج والصابون كما صدرت الكرك والسكر والبلسم إلى أسواق قبرص وفلورنسا.

يذكر أن بلاد الشام مليئة بالتجار هذا يدل على مدى اتساعها وانتشارها[2].

كما تعرض هؤلاء النجار إلى الكثير من المظالم منها تلك الصادرات بالإضافة إلى عمليات طرح البضائع بأسعار تزيد بكثير من ثمنها الأصلي مما يتسبب في خسائر فادحة[3].

ب. الحرفيون والصناع:

استقر الحرفيون في بلاد الشام في المدن الرئيسية من خلال الرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة، في العهد المملوكي فئة كبيرة من العمال والصناع وأصحاب المهن الخاضعة لنظام النقابات السائد بين أفراد كل حرفة ،فمونوا نقابات لها نظام ثابت، هذا يعني أنها شهدت ازدهار كبير في معظم الأدوار[4].

كما تعرض الصناع لمظالم الطرح الرمايات التي كانت تفرض عليهم ،كما تركزت بعض الصناعات في مناطق الإنتاج فصناعات الزيوت والجبن، كما اشتهر المسلمون بالصناعات الغذائية والعطارة وصناعة الدهان[5].

---

[1] - أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 103.

[2] - نفسه، ص 97.

[3] - الزربا، المرجع السابق، ص 167.

[4] - نفسه، ص 169.

[5] - المقدسي، المصدر السابق، ص 183.

ويرتبط الحديث عن الحرفيين وتنظيماتهم بالنقابات بشكل عام ومع الوقت أصبح لكل حرفة تقاليد خاصة بها لكل واحدة من هذه الحرفة تتألف من صناع ومبتدئين[1].

مما نتج عن هذه الآونة أيضا قلة إعداد الصناع والعمال هذا جعل الدولة تستخدم قوتها، كما نتج أيضا التراجع الزراعي طبقة الأغنياء وجدوا أنفسهم بدون مصادر دخل وإيرادات كما أطلق عليهم أيضا وهم جميع سكان المدن المتعممين وأرباب الأقلام[2].

ومن مظاهر الظلم الاجتماعي التي عانى منها العامة السحرة، حيث كان المماليك يستخدمونهم بلا اجر في أي عمل يقومون به، كما كانوا يقومون بالاحتجاج لها ومن هذه الأساليب التكبير[3].

ج. العوام:

وكثيرا ما لجأ العامة العنف إلى ضد موظفي الدولة وخاصة المسؤولين من جميع الضرائب ورفع ذلك كان العوام يلاقون العناية والاهتمام من بعض سلاطين، كما قاموا بتفريق الصدقات في المناسبات على الفقراء والمساكين[4].

كما امتاز العامة في بلاد الشام بالتكافل والاتفاق وذلك من أجل التصدي للمخاطر والمظالم، ومن مظاهر تكافلهم أنهم اعتادوا في رمضان أن يجتمعوا كل يوم في منزلة أحدهم أو في المسجد ،كما كانت لهم عادات الزواج، ومن عاداتهم السيئة الثار، ومنها انتشار الخرافات ومن مظاهر فسادهم يستغلون أوقات الأزمات يقومون بأعمال النهب والسلب[5].

---

[1] - أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 117.

[2] - يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري الشرقي الأردن في العصر المملوكي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1982، ص 102.

[3] - أحمد خصاونة، المرجع السابق،ص122.

[4] - ابن إياس، بدائع الزهورفي وقائع الدهور،تح:محمد مصطفى ،الهيئة العربية العامة، القاهرة، 1984، ج3، ص 156. أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 125.

[5] - نفسه، ص 127.

د. الزعر:

حيث أطلق على الفرد منهم الأزعر ومن أسمائه الشاطر والعابق وهم الذين يعرفون في مصر الحرافيين الجهيدية وكان لكل حي من أحياء الشام زعران فقد ذكر منهم زعر الشاغور وزعر الميدان ويرجع ظهور هذه الجماعة إلى عدة أسباب منها التدهور الاقتصادي الذي حل بالدولة المملوكية، حيث كان لزعر أهمية بالنسبة للمماليك[1].

وقد ذكر أنهم يقومون بأعمال نهب وسلب ممتلكات المواطنين وخاصة أوقات الحروب الأهلية[2].

ولم يقتصر حديث المصادر عن الزعر وإنما ذكر جماعات من أهل الفساد ومنهم اللصوص، كما ظهرت جماعات أخرى من قطاع الطرق هددوا أمن المسافرين في أجزاء الدولة المملوكية[3].

---

[1]- أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 129.

[2]- الزربا، المرجع السابق، ص 169.

[3]- أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 130.

المبحث الرابع: الطوائف الدينية

أولا: المسلمون:

أ. السنة:

انتشرت السنة بجميع مذاهبها الأربعة الشافعي، الحنفي، والمالكي، والحنبلي في مختلف مدن الشام ،كما وجدت فئة دينية عرفت بالصوفية والتي تعني العكوف والعبادة بالإضافة إلى الربط والزوايا التي انتشرت في بلاد الشام[1].

كما تطورت لإخضاع الصوفية في العصر المملوكي نتيجة لزيادة إعداد في هذه الفترة، كما عرفت هذه الفترة بالوظائف التالية:

شيخ الشيوخ الذي كانت له عليه الإشراف على جميع الخوانق كما حرصت الدولة المملوكية على توظيف جماعات كبيرة منهم في المناطق الحدودية والسواحل ونتيجة للتركمان حيث استخدموهم في عمليات التمرد[2].

ب. الشيعة:

ظهرت هذه الفرقة منذ بدايات الدولة الإسلامية، ويعرف الشيعة بأنهم الذين شايعوا علي وقالوا بامامته وخلافته ودخلوا إلى بلاد الشام ، وكان للشيعة رئيس في دمشق يسمى كبير الرافقة أو داعية، غير أن علاقات المماليك بالشيعة[3] في بلاد الشام لم تخل من الخلافات كما استمر الشيعة في إظهار عدائهم للمماليك إنما سمحت لهم الفرصة بعد هزيمة القوات المملوكية[4].

ثانيا: النصارى:

انتشر النصارى في مختلف أرجاء البلاد، حيث سكنوا إلى جوار المسلمين في القرى والمدن أما في وسط الشام فقد سكن النصارى في حوران ودمشق كما سكنوا في الجبال

---

[1]- أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 178. غوانمة، التاريخ الخضاري، المرجع السابق، ص 183.

[2]- نفسه، ص 183.

[3]- غوانمة، المرجع السابق، ص 140.

[4]- أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 190.

بالقرب من طرابلس، إما بالنسبة لأعداد النصارى تجاهلها المؤرخون ولم ترى سوى معلومات بسيطة من قبل الرحالةكما انقسموا الى عدة وظائف اليعاقبة والسريان والافرنج بالاظافة الى الاحباش والأقباط والموارنة والأرمن والروم والارثودوكس.

كما كان للنصارى عدة أعياد يحتفلون بها في السنة وقسمت إلى أعياد الكبار وهي عيد الشيارة والزيتونية وعيد القمح وعيد الخمسين وعيد الميلاد، أما الأعياد الصغار، عيد الختان وعيد خمسين العهد وعيد الصليب وغيرهما[1].

كما نعم النصارى بالعدل في ظل حكم المماليك لذلك عاشوا عيشة الرفاهية في بلاد الشام وقفوا إلى جانب بعض السلاطين وقدموا لهم المساعدات[2].

وحتى يتم تمييز أهل الذمة عن المسلمين فقد صدرت أوامر السلطانية بأن يلبسن النصارى العمائم الزرقاء واليهود الصفراء والسامرة الحمراء[3].

وان لا يدخل أحدهم إلا بعلامات مميزة عن المسلمين يضعها على عنقه، كما كان النصارى يزاولون جميع المهن[4].

وتأثرت علاقات المماليك بأهل الذمة بالتطورات السياسية في المنطقة فقد حظيت طائفة النصارى الأحباش بامتيازات كبيرة من قبل المماليك[5].

ثالثا: اليهود:

انتشر اليهود في جميع أنحاء بلاد الشام، وسكن اليهود بعض المدن داخل أحياء خاصة بهم مثل حارة اليهود التي اشتهرت بهم في بيت المقدس[6].

---

[1] - القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص 454، 457. أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 194.

[2] - غونمة، المرجع السابق، ص 141.

[3] - نفسه، ص 142.

[4] - نفسه، ص 143.

[5] - أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 194.

[6] - نفسه، ص 201.

كما نجد أن اليهود انقسموا إلى فرق اليهود الربانيون واليهود السامرة ،وكان مركز الربانيين في دمشق[1].

كما انقسمت أعياد اليهود إلى قسمين القسم الأول أعياد شرعية وهي رأس السنة وعيد الفصح وعيد الأسابيع أما القسم الثاني من أعيادهم فهو عيد الحنكة وعيد الكبار فكانوا يذهبون إلى البيعة أوالكنيس أيام السبت والعطار وغيرها[2].

ومما تقدم يتضح لنا أن اليهود نعموا بروح التسامح الديني، فمارسوا عدة نشاطات ،حيث استغلوا التجارة وأنواع أخرى من الحرف، كما اشتغلوا أيضا بالعلوم حيث كان لديهم رئيس يتكفل بشؤون الإشراف عليهم[3].

---

[1]- غوانمة، التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص 146.

[2]- أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 203.

[3]- غوانمة، المرجع السابق، ص 145، 146.

ومنه يتضح لنا أن طبقات المجتمع في بلاد الشام في العصر المملوكي أن طبقة المماليك كانت تقتصر على الاقطاعات وبدورها انقسمت إلى أجناد وأمراء وكل منهم كانت له مميزات.

أما بالنسبة لطبقة المعممين والتي كانت تتألف من الكتاب والوعاظ وغيرهم، حيث كان لكل واحد منهم وظائف مختلفة، كما نجد أنهم تميزوا ببساطة في أنماط معيشتهم على عكس بقية الطبقات الأخرى.

في حين نجد عامة الشعب كانوا أشد تعرضا لظلم من طرف المماليك كانوا يستخدمونهم في أعمالهم، على الرغم أنهم إمتازوا بالتكافل حيث تكونت هذه الطبقة من الزعر والحرفيون والصناع.

انقسمت الطوائف الدينية إلى كل من المسلمين والشيعة والنصارى الذين سكنوا جوار المسلمين.

وأخيرا أهل الذمة اليهود الذين سكنوا معظم الشام كما انقسموا أيضا بدورهم إلى فئات، كما نجد أنهم أيضا كانت لهم وظائف.

الفصل الثالث: مظاهر المجتمع الشامي المملوكي

المبحث الأول: المنازل والقصور

المبحث الثاني: الملابس

المبحث الثالث: العادات والتقاليد

أولا: الطعام

ثانيا: الأسواق والحمامات

ثالثا: الزوايا وتشييع الجنائز

المبحث الرابع: الرسوم والاحتفالات

أولا: الزواج

ثانيا: الأعياد

المبحث الخامس: مكانة المرأة المملوكية

المبحث الأول: المنازل والقصور

أولا: المنازل:

من خلال دراستنا السابقة للمجتمع الشامي، نجد أنه يمكن استعراض في هذا المبحث بيوت ومنازل الإنسان الشامي في العصر المملوكي، وكما نعلم أن الشاميون اهتموا اهتماما كبيرا بالمنازل، وكان لهم دور فعال وبارز خاصة في كيفية تشييد منازلهم وتأثيثها وتزويدها بكل وسائل الراحة هذه المنازل كانت بسيطة في مظاهرها الخارجية، وبطبيعة الحال شأن الشاميون ومن عاداتهم أن منازلهم تكون مرئية ومنسقة ومقسمة إلى حجرات مختلفة ومزينة على غير صور[1].

حيث يصفها أحد المؤرخين بأنها كانت غزيرة لكثرة أهلها وسكانها، أي السكاكين، بها وعليها حصن أحدث[2].

في حين أن هناك من يرى بأن منازل الشاميون كانت عبارة عن بنايات مصنوعة من الخشب والطين[3].

حيث جرت العادة في ذلك العصر أن الشخص، إذا تم تشييد دار جديدة احتفل بافتتاح هذه الدار احتفالا عظيما يتناسب مع مكانته وثروته، حيث كانت منازلهم تبنى على جانبي الطريق الذي يربط قرية بغيرها، هذا الطريق بمثابة الشارع الرئيسي، منازلهم كانت متشابهة في الطراز والحجم والشكل كما نجد أن الفلاح الشامي يسكن في بيت القرية من أرضه[4].

بطبيعة الحال معظم قرى الشام كانت عامرة سكنها الفلاحون، هناك اختلاف كبير بين منازل المدن ومنازل القرى من حيث شكلها وحجمها وكونها مفتوحة مثل منازل الإيوان المرتفعة على سطح الأرض وكان يصعد عليها بسلم من الحجر داخل المدار[5].

---

[1] - الزريا، المرجع السابق، ص 306.

[2] - ياقوت الحموي المصدر السابق، ج5، ص 589-590.

[3] - المقدسي، المصدر السابق، ص156، الزريا، المرجع السابق، ص 307 .

[4] - إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص94 .

[5] - نفسه، ص 94.

فحين نجد أن أرضية المنزل فكانت نادرا ما تبلط لكل منزل عدة نوافذ على شكل قضبان حديدية، كان الفلاح يهتم بمنظر باب بيته من الخارج ومن الداخل فيحافظ على قصره بالطين الجيري والرمل الناعم وعلى جانب العقد تبنى حجرات له، أما بالنسبة لبيوت الفقراء فكانت تبنى من الحجر والطين، كما نعلم أنها كانت عبارة عن منازل منخفضة، ومسطحة ولم يكن لها أبواب كثيرة على عكس الأغنياء، لذلك كانت منخفضة، مدخلها مظلم وجد عميق لدرجة الدخول إليها كأنك تدخل إلى الكهف[1].

وهناك كثير من المؤرخين العرب الأجانب الذين زاروا منطقة بلاد الشام ،كانوا يصنعون البيوت فيها وكانوا أحيانا يذكرون عدة بيوت فعلى سبيل المثال، وهناك شكل أخر للبيوت حيث أطلق عليه السقيفة، والتي كانت تبنى من الحجارة وتكون متوسطة الحجم، حيث تستعمل من الخارج بالطين المخلوط بالتبن،[2] وفي بعض الأحيان تبنى بالقصب[3].

من خلال عرضنا المسبق إلى منازل الشاميون، فيمكن تقسيم المنازل الريفية وهي على ثلاثة أنواع، حيث استمدت صناعتها من الطين أو الحجارة وغيرها كالأتي:

أ. البيوت الطينية:

وهذه الأخيرة كانت مادتها الأساسية الطين فقط في حين السقف أغراضه الأشجار مثل القش والقصب، حيث أنشأ هذا وسط بلاد الشام وحلب وغيرهما.

ب.**بيوت من الحجرة والطين[4]:**

أما بالنسبة لسقف يكون من الأغصان والقصب والقش فوقهما التراب.

[1] - إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 96.

[2] - القاسمي، قاموس الصناعات، تح: ظافر. القاسمي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1988، ج1، ص 20.

[3] - إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 96.

[4] - نفسه، ص 97، 96.

ج. **بيوت منحوتة من الصخر[1]:**

كما نجذ مثل هذه البيوت الكهوف وأحيانا يستخدم هذه المغارات للإيواء الحيوانات وخزن بعض غلاتمهم أو لسكن الفلاحين، حيث تعددت أدواتهم هذا بالنسبة للأغنياء، أما الفقراء كانوا يملكون الأدوات الضرورية فقط ومن بين تلك الأدوات أواني الطعام مثل القدر المصنوع من الفخار والنحاس، كما استخدموا البساط الفرش البيت وهو الشعر والصوف ،أما بالنسبة للإضاءة كانوا يستعملون القناديل المصنوعة من الفخار، حيث يملأ بالزيت فيوضع فتيل مشتعل، وبعضهم كان يستخدم الشموع.

أما بالنسبة في فصل الشتاء كانوا يستعملون الحطب وأغصانه حيث كانت تقطع من الغابات في الوقود أو الكانون، كانوا يستعملونها للتدفئة في أيام البرد[2].

ومما تقدم عرضه يتضح لنا أن منازل الشام كانت على اختلاف كبير وفرق جد شاسع بحيث تعددت وتنوعت صناعاتها، ومواردها وأدواتها،حيث أوردنا اختلاف في البيوت التي تكون بناياتها حسب ضرورة الإنسان الشامي خاصة بقربها لمكان كسب قوته وعمله[3].

ثانيا: القصور:

أما بالنسبة للقصور المتعلقة بالسلاطين والأمراء الذين عاشوا حياة الأبهة والرفاهية، مسكنهم القصور الفخمة امتداداتها جد عريضة وطويلة، كما يصفها المؤرخين نتيجة لشساعتها فالخروج منها صعب[4].

اهتم المماليك بقصورهم ومنازلهم، كما يتضح من البقايا التي امتدت إلى تجميلها وزخرفتها، حيث عاشوا النعم كما نجد على سبيل المثال قصر الظاهر بيبرس وعلى مثاله بني قلاوون القصر والقاعات والتي تكون مفروشة بالرخام الملون البديع الحسن[5].

---

[1] - إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص98.

[2] - نفسه، ص 98.

[3] - الزربا، المرجع السابق، ص 306.

[4] - نفسه، ص 300.

[5] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4 ،ص301، الزربا، المرجع السابق، ص 300.

حيث خصص لهذه الاجتماعات والمجالس قاعة فسيحة في القصر السلطاني، حيث تضم الدور السلطانية ومنازل الحريم، وبها زوجات السلطان، حيث توجد في القصر السلطاني طبقة خاصة من الأفراد ولم يكن لعامة الناس سوى نصيب ضئيل أصحاب الوظائف الرئيسية[1].

حيث يطلق على المرافق الخاصة بمطلب السلطان وحاجاته اسم البيوت السلطانية أو حوامل السلطان، وهي بيوت عديدة حيث يشرف على كل منها مباشرة أمراء له مساعدون وغلمان عديدون ومن بين هذه البيوت الشربخاناه أي بيت الشراب[2].

كان يحفظ فيه جميع أنواع الأشربة والأدوية كما كانت تحفظ في الأواني[3].

هناك أيضا مكان تحفظ فيه جميع ما يخص السلطان من ثياب وجواهر وسيوف، وغير ذلك ما يحتاج إليه الدور السلطانية للاستحمام[4].

كذلك نجد انه كانت خانات لحفظ الطبول والإيوان وما يتبعها من الآلات في أماكن أطلق عليهم الطبلخانية[5].

ومن أهم البيوت السلطانية الحوائج الخانات التي خصصت لها ميزانيات يشرف عليها الوزير ويصرف منها على المطبخ السلطاني، وما يحتاجه من لحم وتوابل[6].

يقول القلقشندي: "ومن عادة كل أمير كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصه.بحسب ما يختاره ويؤثره ويجعل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المناسبة إليهم كمطابخ السكر وشؤون الغلال وغير ذلك"[7].

---

[1] - الزربا المرجع السابق، ص 301.

[2] - نفسه، ص 302.

[3] - نفسه، ص301.

[4] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 10 11.

[5] - الزربا، المرجع السابق، ص 303.

[6] - القلقشذي، المصدر السابق، ج4، ص 12، 13.

[7] - نفسه، ص 61، 62، الزربا، المرجع السابق، ص 305.

ومما تقدم عرضه يتضح لنا أن قصور السلاطين عرفت اختلافا كبيرا على بيوت العادية، وكانت لها تقسيمات وكل مكان كانت له أهمية وخاص بشخص معين، هذا بالنسبة للرجال والنساء والجواري وغيرهم.

المبحث الثاني: الملابس

وهي مظاهر التحضر في الشام الرأي، ولم يكن للناس في العصر المملوكي حرية ارتداء ما يرغبون من الملابس، وكان السلطان حق التدخل في تحديد الزي وقصر ارتداء أنواع معينة الثياب على جماعة معينة من الناس[1].

أولا: المماليك:

اعتنى المماليك الأمراء منهم والأبناء بلباسهم بشكل كبير حتى ظهروا بمظهر الأبهة والفخامة فمن لباسهم بشكل كبير، لبسوا القياد الحريري ذي الأكمام المزخرفة والمطرزة كما لبسوا على رؤوسهم التخفيفة، ولبسوا فوقها العمائم، بحيث تلبس فوق ذوات الشعر المرخاة في أكياس حرير تسمى الديوقة[2].

كما لبسوا الطواقي ولبسوا الشربوش وهو لباس مثلث الشكل يوضع على الرأس بدون عمامة وكان الملوك يلبس عندما يصل إلى رتبة الفارس، وبينما ألبسة الرأس أيضا لبسوا عمامة صغيرة[3].

في حين نجد المماليك صنعوا صوالق[4] كبيرة الحجم تتسع لأكثر من بيت ولم يتميز الأمراء عند الجنود بألبسة البدن إلا بلبس أقبية صغيرة ومتسعة الأكمام بالإضافة إلى العباءة أو الملوطة[5].

---

[1] - محمود السيد، المرجع السابق، ص 194.

[2] - حسن احمد خصاونه، المرجع السابق، ص 34.

[3] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 40،41. ابن اياس ،المصدر السابق، ج3، ص 359. أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص34، ماير الملابس المملوكية، صالح الشيتي، المكتبة المعرفة للكتاب، 1970، ص ص 42 57.

[4] - الصوالق: يرتدي فوق الثياب مصنوع من جلد بلغاري اسود واحيان يكون كبير الحجم بقدر يتسع لأكثر من نصف ويبة من الغلال فيه منديل طويل 2 أذرع. القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص42. حسين احمد خصاونة، المرجع السابق، ص 25، ماير، المرجع السابق، ص 47.

[5] - الملوطة: هي عبارة عن رداء فوقاني كانت ألبستهم مطرزة. القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 40، ماير، المرجع السابق، ص ص 42 44.

أما بالنسبة للباس الأمراء كما وجد الكثير من أنواع الألبسة التي عرفت بأسماء الأمراء الذين استحدثوا فقد أمر محمد بن قلاوون أن يلبس عمائم صغيرة فوق الكلوتات عرفت بالناصرية واستحدثت الأمير سلال قياد عرفت بالسلاري وظهر نوع من الملكوتات اكبر العامة[1].

وكان كبار رجال الدولة وأمراؤها رجال القضاة والفقه يرتدون السراويل ولم يكن ارتداء السراويل قاصرا على الرجال دون النساء ومن المعروف النساء يمكثن في بيوتهن دون سراويل[2].

كما لبس فرسان العرب في الشام الثياب الأطلسي والقبابي والديباج الرومي[3].

أيضا لبس العرب البخلع البابلي السكندري[4] والمطرز بالذهب حيث ذكر القلشندي الملابس المطرزة لم يكن يلبسها إلا من كان له إقطاع في الحلقة[5].

ومما تقدم لنا يتضح لنا أنه السلاطين صاغوا لنسائهم الأساور من الذهب المرصعة بالجوهر واللؤلؤ والشنابر[6].

وفي عهد محمد بن قلاوون أيضا لبس النساء الشاميات الطرحة والفرجيات[7].

---

[1] - حسين أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص36. طرخان، المرجع السابق، ص 314.

[2] - المقريري السلوك، المرجع السابق، ج1، ق1، ص 172، محمود السيد، المرجع السابق، ص 194.

[3] - وهو قماش لامع أو ملون يعتبر تقليد للحرير الصيني وهي كلمة فارسية تعني لباس الروح. المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص 500.

[4] - محمود السيد، المرجع السابق، ص 195.

[5] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 41.

[6] - الشناير: جمع شينر وهي كلمة فارسية معربة ،ومعناها شريط حرير أو أسود أو أحمر قاتم عرضه شبر وطوله نحو سبعة اذرع وتلفه النساء على رؤوسهن فوق العصانة بحيث يتولى احد طرفي من مقدم الرأس والثاني من مؤخرها. المقريزي، المصدر السابق، ج2، ق2، ص

[7] - الطرحة: تطلق الطرحة على خمار المرأة والطرحة أيضا شاش رفيع يلف على العمامة بهيئة مخصوصة، وكانت العادة إلا يطرح من علم فضله، علي مبارك، الخطط التوفيقية، المتلية الكبرى الاصيرية، ط1، 1306، ج1، ص 92.

كما لبس بدل الدق الفرجيات[1] مفرجية من قوامه من أعلاها إلى أسفلها بالأزرار وليس فيهم من يلبس الحرير[2].

لبس العرب قبل عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون لبس أمراءهم إلى آخر الأيام المنصورية قلاوون الطراطير من تحت العمائم الشامية من القطن وكانت خلعهم إما مسمط أو كنجي[3].

حيث كان أهالي دمشق يلبسون الملابس الضخمة ويتعممون رجالا ونساء بالعمائم الكبيرة[4].

حيث كان الشخص يستطيع أن يلبس عمامة طولها مئة ذراع[5].

في حين نجد الأشراف العرب الذين ينتسبون إلى بيت الرسول فقد لقوا ترحيبا كبيرا من الأشراف بلبس عمائم تميزوا عن غيرهم من سائر القوم[6].

حيث قيل في هذه المناسبة للشيخ شهاب الدين بن جابر الأندلسي:

جعلوا للأبناء الرسول علامة ** أن العلامـــــة شان لـــــم يشهر

نور النبوة في كريم وجوههـم ** يعني الشريف من الطراز الأحمر[7]

---

[1]- الفرجيات: لباس يشبه القفطان أو العباءة فهو مفتوح من الأمام من الأعلى إلى الأسفل إلى القدمين من مزر الأزرار وأحيان يلبسونها وتكون الفتحة من الخلف ولبس من الأمام، القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 42. سعيد عاشور، المرجع السابق، ص 416، يوسف غوانمة، المرجع السابق، ص 150.

[2]- محمود السيد، المرجع السابق، ص199.

[3]- المسمط: هو القماش من الحرير الأصفر أو الأحمر بنقش بارز.

والكنجي: بغير ضبط وهو قماش منسوج من القطن وحرير. المقريزي، المصدر السابق، ج1، ق1، ص 502. محمود السيد، المرجع السابق، ص 122.

[4]- نعمان قساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، بيروت، 1979، ص 126. محمود السيد، المرجع السابق، ص 199.

[5]- ماجد الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، 1963، ص 114.

[6]- محمود السيد، المرجع السابق، ص 199.

[7]- ابن إياس، المصدر السابق، ج2، ص 125.

وللشيخ شمس الدين بن المزين:

أطراف تيجـــان أنـــت سنـــدس ** مضر كالأعلام على الأشراف

والأشراف أو السلطان خصمهم بها ** شرف لتعرفهـم من الأطـــراف[1]

كما نجد بعض الدراسات تؤكد على أن الفقهاء والعلماء كان لهم لباس خاص بهم، فقد كانوا يلبسون الزي الأسود لخطيب الجمعات ويمثل هذا الثوب عباءة سوداء. لها طرطور مناسب يوضع فوق عمامة سوداء، كما تعتبر الجبة لباس ملائما لخطب المساجد[2].

أما زي الدراويش يتكون من عباءة، وثياب من صوف[3].

وأما التجار أخلاطا عامة الناس فتختلف أدواتهم في الملبس والزي حتى الفقراء، حيث جمعهم زي الفقير لباس التصوف ،فان حالاتهم، وفي فصل الشتاء يلبس الفلاحون الحذاء المصنوعة من صوف الأغنام[4].

أما بالنسبة إلى لباس الأطفال سواء كانوا صبيان وبنات يرتدون ملابس تطابق في تفصيلها ملابس الطواقي والكوافي[5].

وكانت معظم الملابس مصنوعة من القطن أو الصوف أو من الكتان وجلود الأغنام[6].

ومنه يمكن إجراء مقارنة وعرض أوجه التشابه والاختلافات بين السلاطين والرجال والنساء، ويمكن إدراجها كالأتي:

---

[1]-ابن اياس، المصدر السابق، ج2، ص 195. محمود السيد، المرجع السابق، ص 199.

[2]- إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 91، ماير المرجع السابق، ص 92.

[3]- نفسه، ص 99، إيمان حسن مقابلة، المرجع السابق، ص 91.

[4]- ماير، المرجع السابق، ص 92.

[5]- إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 91، ماير، المرجع السابق، ص 121.

[6]- إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 90.

أولا: ملابس السلطان:

الرنوك جمع رنك وهو إشارة السلطان أو الأمير ينقشها على ممتلكاته أو يتخذها بعض موظفي البلاد المملوكي، الحكم وظائفهم كرنك للساقي ورنك البقجة الذي يتولى إلباس السلطان ثيابه[1].

ومن بين هذه المنتوجات الحريرية، النوع المعروف بالطرطوش ولقد أشارت إليه بعض المصادر التاريخية إلى الأقبية.ذات الزخارف من الطرطوش والأشرطة المموجة بقصب مذهل[2].

حيث كان السلطان في المناسبات يرتدي العمامة أطلق عليها الشعب باسم الناعورة تستخدم في مقام التاج عند سلاطين المماليك[3].

أ. العمامة:

اتخذت أشكالا تبعد أكثر من الأصل. وقد برزت العادة أن يرتدي السلاطين في أيام المطر العباءة[4].

ومما تقدم عرضه يتضح لنا زي السلطان يتطلب المواكب السلطانية لبس افخر الثياب، وذلك في كل مناسبة، حيث نجد أن السلاطين يتمتعون بذوق كبير في ارتداء السلطان ملابسهم، حيث ارتدى السلطان الناصر ابن قلاوون قميصا يعرف باسم القفجون[5].

---

[1] - ماير، المرجع السابق، ص 20.

[2] - نفسه، ص 07.

[3] - نفسه، ص 30.

[4] - العباءة: مصنوعة من خامة خشنة لها وبر يطلق عليها اسم جوفة، نفسه، ص 45. يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص 150.

[5] - القفجون: عن قميص قصير بأكمام قصيرة مصنوع من الجزح بدون بطانة وارتدى العمامة، والسترة واخفاف سوداء. ريهام يوسف أمين الغنائي، دراسة تاريخية تعليقية لطرز الأزياء في العصر المملوكي، مجلة الإسكندرية للتبادل العلمي، العدد 01 ،2011، مج 35، ص 64.

1. زي الخليفة[1]:

لبس الخليفة التشريعة السوداء، ولباس التشريعة يسمى بخلعة وكانت تدعى في العصور الحديثة تشريعا في العصور السابقة للعصر المملوكي، عبارة عن ثوب يلبسه الحاكم نفسه ويعطيه كهدية بعد أن يخلعه من فوق جسده، حيث يتكون زي الخليفة من قطع الملابس التالية:

البردة: من ملابس النبي صلى الله عبيه وسلم ووصفها أحد المؤرخين أنها عبارة عن قطعة طويلة من القماش الصوفي السميك الذي يستعمله الناس لكساء أجسادهم، أما لون هذا القماش فاسمر أو رمادي.

الفناء: حيث وصفها الدوزي عبارة عن لباس خارجي للرجال فارسي الأصل يطوى تحت الإبط بصورة منحرفة وله أكمام ضيقة، ويضعون فوق ثيابهم كاملية ضيقة عند الكم مفرجة الذيل من الخلف ،كما لبسوا أيضا الخلفاء القميص والرداء[2]، بالإضافة إلى غطاء الرأس زغرف ويبلغ طوله قدمين 6 سم وعرضه قدم واحدة حيث لبست العمامة في المناسبات الدينية، مسترسلا ن ويضع فوق العمامة طرحة سوداء بها زركشة بيضاء[3].

بالإضافة إلى الجبة والتي كانت من ضمن الخلع التي يتعمد بها السلاطين حيث كان مقر السلطة الرسمي هي العمامة[4].

الدراعة: ذكرها أحد المؤرخين حيث يقول أن الدراعة لباس يميز الوزراء عن بقية ضباط القلم أو العدالة، ويصفها بأنها مفتوحة من الأمام حتى أعلى القلب مزررة بأزرار وقد تكون الأزرار من ذهب أو لؤلؤ[5].

---

[1] - ريهام يوسف أمين الغنائي، المرجع السابق، ص 4.

[2] - القميص: جاء ذكره في القران الكريم في سورة يوسف ويمتاز بوجود كمين واسعين يصلان إلى المعصم ويصنع من التيل ومن الكتان ومن القطن أو الشاش، نفسه، ص 64.

[3] - نفسه، ص 65.

[4] - العمامة: هي عبارة عن عمامة سوداء، وجبة سوداء مع حزام من شريط مذهب ،معلق به سيف بداوي ،التي اتخذت اللون شعارا لها. ريمام، المرجع السابق، ص 65.

[5] - ماير، المرجع السابق، ص 90. يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص 150.

التخفيفة: كما كان يرتدي الخليفة التخفيفة وفي المناسبات خاصة كانت العادة أن يرتدي السلطان عمامة تسمى التخفيفة الكبيرة .أطلق عليها الشعب اسم الناعورة، كانت تستخدم في مقام التاج[1].

العباءة: العادة الخاصة بأمير عظيم في العصر المملوكي الجركسي المتأخر هي المملوطة وجمعها ملاليط[2].

بالإضافة إلى الجبة والتي كانت من ضمن الخلع التي يتعمد بها السلاطين حيث كان مقر السلطة الرسمي هي العمامة[3].

كما لبس الخليفة زي آخر ويعرف بالشربوش وجمعها شرابيش وله المكانة الأولى كلباس الرأس إذ يعتبر بصفة خاصة الطابع المتميز لطبقة الأمراء وقد وصفه أحد المؤرخين بأنها شيء شبيه بالتاج ويبدو كما لو كان مثلث الشكل يوضع على الرأس بدون عمامة كما وجد نوع أخر من الشربوش أسطواني الشكل عظيم الطول[4].

الكلوتة: وهي أخف من الشربوش ولكنها لا تقل عنه مكانة من الناحية الرسمية وأصبحت الكلوتة رمزا للاستوقراطية العسكرية الذي أطلق عليهم اسم المكلتون وكان الخليفة يرتدي كلوتة وهي خاصة بالأمراء[5].

السراقوج: كان يشبه إلى حد الكبير إلى زي النثري المتميز فهو عبارة عن قلنسوة لها شكل مخروطي طويل بحافة مقلوبة إلى أعلى وقد اختلف السراقوج من عالم الموضة[6].

---

[1] - الناعورة: ذات القرون الطويلة من التاج التي خاصة للسلاطين المماليك كالتاج الذي اقتص به الفرس. ريمام يوسف، المرجع السابق، ص 68.

[2] - الملوطة: هي عبارة عن رداء فوقاني به باقة وهي غبر مزرق أن كلمة الملوطة هي الجبة وكذلك يراد بها اللباس الفوقاني، الواسع الذي يلبس فوق الفرجية، ماير، المرجع السابق، ص 90.

[3] - العمامة: هي عبارة عن عمامة سوداء، وجبة سوداء مع حزام من شريط مذهب ،معلق به سيف بداوي، التي اتخذت اللون شعارا لها. ريمام، المرجع السابق، ص 65.

[4] - ريهام يوسف، المرجع السابق، ص ص 69 72.

[5] - نفسه، ص 72.

[6] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 88.

لباس القدم: حيث لبس الخليفة خف عبارة حذاء طويل ويضع لشتاء من جلد أصفر اللون ويطلق عليه اسم سقمان كانوا يلبسون أيام حكم الجراكسة وهو خف ثاني[1].

الملابس الداخلية للرجال:

القميص: ارتدى الرجال القميص تحت ملابسهم ويطلق عليه تحتانية وعادة ما تصنع من الكتان أو القطن ويصل طوله إلى الساق وله أكمام واسعة يصل إلى المعصم.[2]

السروال: حيث يوجد نوعين من السروال النوع الأول عبارة عن سروال قصير أو تبان والأخر سروال طويل يلبس فوق السروال القصير وهو بأطوال متفاوتة يكون طويلا أما الأقمشة صنعت منها رفيقة وكانت تصنع من الصوف أو القطن وفي أغلب الأحيان تكون مطرزة[3].

التبان: وهو من ألبسة البدن الداخلية وهو سروال صغير أشارت إليه المصادر والوثائق المملوكية إلى بعض الألبسة التي يرتديها الرجال الداخلية[4].

الإزار: وهو قماش فضفاض يغطي الملابس غير المطرزة ويلف حول الوسط والأرجل وقد استعمل للرجال والنساء وأما أزر الرجال فكانت بيضاء في بعض الأحيان يستخدم الرجل إزارين في آن واحد يكون وأولها أسفل الجسم الأخر أعلاه[5].

أما بالنسبة إلى لباس الرجال الخارجي فكان على الأتي:

العباءة: لباس ذو فتحتين لإخراج اليدين منها، ويتغلب عليها اللون الأبيض مصنوعة من غزل الصوف الخشن، يرتديها أيضا العلماء وهي في غاية المتانة وذلك لأنها لباس عامة للفلاحين، ويوجد أنواع في دمشق وقرية جرمان وحمص[6].

---

[1] - ريهام يوسف، المرجع السابق، ص 72.

[2] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 88.

[3] - ريهام يوسف، المرجع السابق، ص 72.

[4] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 88.

[5] - نفسه، ص ص 86 88.

[6] - مبارك طراونة، المرجع السابق، ص371. ماير، المرجع السابق، ص ص 91 96. إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 87.

الفوطة: من ألبسة البدن الخارجية غير مخيطة وتكون قصيرة[1].

آما بالنسبة إلى لباس الرأس:تميز الشاميون الرجال بلبسهم كما يلي:

الشاش: وهو نوع من القلانس نسبة إلى مدنية الشاش ما وراء النهر وهي مثل المخروط يخرج من وسطها العلوي مثل النتوء[2].

الكوفية أو العقال: وضعها الفلاحون على رؤوسهم وهي عدة نماذج منها المقصب ومنها الرفيع ومنها العريض وغالب ما يصنع صاحب الحطة طاقية بيضاء تحتها الحطة والعقال على الشعر[3].

إضافة على ذلك القبع: عبارة عن قلنسوة حمراء، وتستخدم كلباس للرأس ويلف من حوله شال[4].

الزمط: قلنسوة حمراء تستخدم كلباس للرأس أيضا[5].

في حين نجد ألبسة القدم التي كان يلبسها الرجال الشاميون اختلفت وتنوعت ويمكن ذكرها على التالي:

النعل: وهو حذاء قصير مصنوع من الجلد الملون أو الأسود[6].

بالإضافة إلى أنهم لبسوا كذلك المشاية وهي عبارة عن حذاء للقدم وهو ضرب من النعل تصنع من المخمل أو الجلد الأسود[7].

الزربول: نوع من الأحذية الكبيرة الطويلة مثل الجزمة وتزين بقطع حديدية في الكتب وهي أحذية مشايخ القرى[8].

---

[1] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 87. مبارك طراونة، المرجع السابق، ص 371.

[2] مبارك طراونة، المرجع السابق، ص371، ايمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص371.

[3] - نفسه، ص 86.

[4] - ريهام يوسف، المرجع السابق، ص 64.

[5] - مبارك طراونة، المرجع السابق، ص 371 372.

[6] - ماير، المرجع السابق، ص 129.

[7] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 88.

[8] - القاسمي، المرجع السابق، ج1، ص 165.

كما لبسوا أيضا الخف وهو المعتاد لبسه[1].

في حين نجد أن النساء في العصر المملوكي اعتادوا ارتداء ملابس واسعة تصل أطرافه إلى الأرض ولها أكمام واسعة تدعي باسم **البهلطة**[2].

أما بالنسبة إلى الألبسة الخارجية نجد لبس الإزار وهي عبارة عن ملاءة فضفاضة وتلبس فوق الملابس الداخلية[3].

القباء: وهو من الألبسة الخارجية وهو ثوب بأكمام ضيقة[4].

بالإضافة إلى ذلك لبسوا القميص[5].

كما لبسوا النساء الجبة وهي لباس خارجي مفتوح ويلبسه الرجال أيضا فوق القميص[6].

الفوطة: من ألبسة البدن الخارجي وغير المخيطة[7].

الرفيق: لباس داخلي للنساء و يصنع من القطن والكتان[8].

الاتب: وهو ثوب تستخدمه المرأة وتلقيه بعنقها من غير جيب[9].

كما ارتدت نساء العصر المملوكي الرداء وهو عبارة عن لباس يغطي الجسم كله وله فتحة غلى الرقبة مستديرة[10].

1- القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص40. إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 88. ماير، المرجع السابق، ص 121. أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 36.

2- مبارك طراونة، المرجع السابق، ص 372.

3- إيمان مقابلة، المرجع السابق، ص 89. ريهام يوسف، المرجع السابق، ص 80.

4- ماير، المرجع السابق، ص 120.

5- نفسه، ص25. ريهام يوسف، المرجع السابق، ص 79.

6- نفسه، ص 30.

7- إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 89.

8- نفسه، ص 89.

9- ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص 205.

10- مبارك طراونة، المرجع السابق، ص 374.

من على ذلك الجلباب: حيث استخدمت كلمة جلباب لكلمة الإزار وتشير إلى الملحقة التي يلف بها النساء بحيث يصنع من منسوجات تبعا للأحوال التي تنتمي إليها المرأة[1].

ألبسة الرأس: تنوعت ألبسة الرأس عند النساء يمكن عرضها كما يلي:

المنديل: هو قطعة من القماش استعملتها النساء على مختلف ،طبقاتهن وتكون كبيرة وصغيرة وإذا كان المنديل كبير فانه يلف حوله الرأس[2].

كما لبسوا أيضا على رؤوسهن الطبليبان: وهو نوع من الثياب يوضع فوق الكتف والرأس ويغطي نصف الوجه وأطلق عليه اسم الطرحة[3].

العصابة: وهي قطعة من القماش يلف على الرأس كالعمامة وكانت تزين أحيانا بزخارف جميلة مطرزة.

كما كان للرجال ألبسة القدم فالنساء أيضا تميزوا بلبس أحذية متنوعة حيث كانت أحذية النساء تطابق في شكلها أحذية الرجال ومنها:

الخف: وهو نوع من الأحذية المرتفعة الكعب المصنوعة من الجلد ألوانه في الغالب ابيض وهناك خف يلبس في الشارع ويطلق عليه المدارس[4].

النعل: حذاء مصنوع من الجلد و يشبه الصندل العادي[5].

اليابونج: وهو مصنوع من الجلد الأصفر معقوف الرأس ذو كعب صغير جدا[6].

القبقاب: تستخدمه النساء في الشتاء وفي البيت والحمام وقد استخدم من شجرة الدرو استخدمه الأمير على ابن أبيك[7].

---

[1] - ريهام يوسف، المرجع السابق، ص 80.

[2] - ماير، المرجع السابق، ص 94. إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 88.

[3] - ماير، المرجع السابق، ص 94.

[4] - نفسه، ص 121.

[5] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 90.

[6] - كرد علي، المرجع السابق، ج1، ص 200.

[7] - ابن إياس، المصدر السابق، ج1، ص294 . إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 90.

القبقاب: وهي نوع من الأحذية القصيرة[1].

هذا يعني انه لم يكن هناك فرق بين زي الشام وزي مصر ويعود السبب إلى أن الدولة لها حق التدخل في تحديد الزي وقصر ارتداء أنواع معينة من الثياب على جماعة من الناس[2].

كما اعتنوا أيضا بمظاهرهم الخارجية إلى أبعد الحدود من حيث الخياطة والألوان وكانوا الرجال الذين أيضا حرصوا كذلك أشد الحرص على انعكاسات مظاهرهم الخارجية ،وكثيرا ما تحدثت كتب التراجم من علماء ملكوا المهابة والجلالة ،حيث اعتادوا الناس ارتياد أسواق البزازين وباعة الأقمشة[3].

حيث كانت الأسواق تعج بالملابس سواء رجال أو نساء حيث شهدت الأسواق نشاطا اجتماعيا متميزا ارتبط بالمظهر العام ارتباطا وثيقا واهتمت اهتماما كبيرا بالجواهر والحلي المصاغة من الذهب أو الفضة[4].

[1] - ريهام يوسف، المرجع السابق، ص 82.

[2] - إبراهيم زعرور، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، إش: سهيل زكار، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 1990، ص 170.

[3] - ريهام، المرجع السابق، ص 82.

[4] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 170.

المبحث الثالث: العادات والتقاليد

أولا: الطعام

لقد اهتم عرب الشام بالأطعمة والأكلات المتنوعة والمختلفة وعلى سبيل المثال يمكن إدراجها كالتالي، عرفوا التمر واللبن واللحم والأرز والدقيق ويصنعون الحساء من الدسم والدقيق يسمونها الحريرة.

حيث نجد البسيسة من أطعمتهم المفضلة، وهي كل شيء خلط بغيره[1].

بالإضافة إلى المنسف: وهي أكلة شعبية في بلاد الشام تصنع من الأرز واللحم المطبوخ باللبن الرائب، ويعرف أيضا بالشاكرية، والمنسف أيضا،طبق مستدير واسع من الخشب يقدم فيه الطعام، حيث يتكون من اللحم المطبوخ، حيث توضع رقائق الخبز في إناء واسع أو صينية كبيرة من النحاس ويطرح فوق الأرز والبرغل ،ثم يغطى الجميع اللحم الكبير والسمن واللبن الذي طبخ به اللحم[2].

وكان المنسوف هذا الذي قدمه أهل حوران إلى الناصر محمد بن قلاوون سنة 708هـ/ 1309م، بعد هذا الطعام كانوا يحتسون القهوة المعدة من البن وصنعوا الأجران الخشبية[3].

ومن أسماء الطعام عند العرب الوليمة وهو طعام يقدم في الاطران والأعذار، وهو طعام يقدم عند ختان الأطفال والمادية وبعد كل طعام يقوم لدعوة والسفلى وهو يقدم قبل الغداء[4].

كما عرف الشام أيضا أطعمة أخرى ،وكانت المتمثلة في الوثيقة من اللحم، وهو المسلوق في الماء، ثم يقدم اللحم مع الحساء[5]. والعصيدة[6].

---

[1] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج3، ص 294.

[2] - يوسف غوانمه، التاريخ السياسي لشرق الأردن، المرجع السابق، ص 174. محمود السيد، المرجع السابق، ص 200، يوسف غوانمة، المرجع السابق، ص 103.

[3] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 80.

[4] - محمود السيد، المرجع السابق، ص 201.

[5] - ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج3، ص 294.

[6] - محمود السيد، المرجع السابق، ص 201.

حيث يغلى الماء في حلة ويصب عليه الدقيق قليلا قليلا، مع تحريكه حتى يكون له قوام فيصب القصاع، ويقدم وإذا تم غلي الدقيق باللبن والحليب بدل الماء، فإنهم يسمونه التلبانة والدفينة وهي فتة من الخبز، أو الأرز بمرقه اللحم ويوضع فوقها اللحم قطعا والجريشة، ويجرش القمح بحجر الرحى حتى يصير برغل خشن، ثم يسلق جيدا ثم يصب في قصاع ويخلط باللبن والسمن الجرشية والعصيدة أكثر أكل العرب[1].

كما استخدم العرب أيضا في تحضير طعامهم بعض الآلات منها حجر الرحى والتي كانت ضرورية في حياتهم اليومية، بالإضافة إلى ذلك تستخدم هذه الأخيرة في طحن الدقيق والغرابيل وهي لغربلة الحبوب وعمد الأرغفة، حيث ذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم، أطعمة أهل الشام وطريقة صنعهم للخبز، نذكر أن لهم مخابز وهي تنور في الأرض صغيرة، يفرش بالحصى ويوقد حوله وفوقه، فإذا أحمر الحصى وطرحت الأرغفة على الحصى، وعندهم طباخون للعدس والبيسار، ويقلون الفول المتوت بالزيت ويصقلونه ويباع مع الزيتون[2].

كما اشتهرت بلاد الشام أيضا بطبخات أخرى ،ويمكن ذكرها على سبيل المثال ونحن بصدد هذه الدراسة، المفتول وهي أيضا من الأكلات المشهورة عند الفلاحين ولازالت حتى اليوم، ويتكون من طحين القمح البلدي وقطرات الماء حيث تفتله النساء ليصبح كرات صغيرة في قور من الفخار فوق قدر فخاري أو طنجري بها ماء ويطحن على الفاصل بين القور والطنجرة الموجودة، بها ماء بالعجين وتوقد تحت القدر النار وعندما يصبح المفتول، وينتهي من الماء حيث يتصاعد البخار[3].

عرفوا أيضا نوع أخر من الأطعمة الكشك وهو من المواد الأساسية التي يعمل الفلاح على تخزينها وادخارها وهو غالب طعامهم في فصل الشتاء، حيث يصنع البرغل واللبن

---

[1] - محمود السيد، المرجع السابق، ص 202.

[2] - المقدسي، المصدر السابق، ص 183.

[3] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 71.

والطعام. الشائع عندهم البرغل وأحيانا الأرز وهم يطبخونه إلى أن ينضج كما أكل الفلاحون الدجاج وصنعوا منه المرق.[1]

بالإضافة إلى التريدة وهي عبارة عن فتة باللحم والخل، والمكدوس، وتسقيه الحمص بالإضافة إلى اللازقيات وتصنع من الخبز الساخن والسمن طبقا أو يقدمونها[2].

كما عرفوا العسل وهو من الأطعمة التي استخدمها أهل الشام ويعمل فيه السكر الوسط المكرر والمن[3].

كما اهتم أهل القرية بالزيت الزيتون الذي يشكل رئيس للسكان حيث يدخل في تركيب كثير من الأطعمة ويقوم السكان بكسب الزيتون وحفظه طوال العام[4].

حيث وصف أحد الرحالة قال:" يتناول الأهالي طعامهم على الأرض فحين يأذن وقت الطعام تفرش الأرض بقطع من الجلد فوقها الأبسطة والمطارح ثم يجلسون علينا بسيقانهم، متقاطعة وقبل أن يمدوا أيديهم لتناول الطعام، ولا يتناول النساء الطعام مع الرجال بل يمكثن في حجراتهن الخاصة بهن في حالة وجود ضيوف حين ينتهي الرجال من تناول الطعام ينهضون سوية وخفة، وعندئذ تلف الموائد بما بقي فيها من جفر وزاد وتلقى في إحدى الزواي[5].

كما اعتمد سكان القرى الشاشة في طعامهم على ما تنتج أرضهم من مواد غذائية بصفة عامة إضافة إلى منتوجات حيوانية، وكانوا يزرعون المحاصيل التي يحتاجون إليها في تأمين غدائهم، فقد تنوعت منتجاتهم من بقول وحبوب مثل القمح والشعير، العدس والأرز المهمين في حياتهم.[6]

---

[1]- عظمة مرآة الشام، تح: نجدة فتحي صفوة، رياض الريس للكتاب، ط1، 1987، ص 92. يوسف غوانمة، المرجع السابق، ص 152.

[2]- نفسه، ص 92.

[3]- القلقشندي، المصدر السابق، ص 92. ابنان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 88.

[4]- النابلسي، علم الملاحة علم الملاحة دمشق، دن، دس، ص 107

[5]- إيمان مقابلة، المرجع السابق، ص 82.

[6]- نفسه، ص 79.

ومن المواد السابقة كان الناس يصنعون طعامهم على الأساس فمن القمح والشعير صنع الفلاحون خبزهم بعد طاحنة طريق المطاحن التي تقام في مجاري المياه وانتشرت أغلب قرى بلاد الشام وكانوا يصنعون خبزهم بالطابون وكانوا يصنعون عدة أشكال من الخبز ويمزجون مع بعضه صفار البيض ويمزجون البعض الأخر،في حين نجد الحبوب السمسم والكزبرة والزعفران وغيرهما[1].

ومن بين الخضروات التي اشتهرت بها منطقة بلاد الشام بمختلف أنواعها مثل الكوسا، البطيخ ومنها صنع الفلاح طعامه، أما بالنسبة للفواكه التي اعتمد عليها السكان في طعامهم نجد العنب، التفاح، التين، البلح والكثمري، وقد استخدموا العنب في صناعة الزبيب عن طريق تجفيف العنب وعن طريق عصره ،كما صنع شراب من الزبيب ففي حوادث سنة 797 هـ/1394م[2].

هذا يعني أن أهل الشام بطعامهم أعطوا أهمية كبيرة للمطبخ الشامي، حيث مازال غنيا بأنواعه وطرائفه وتحضير الطعام، حيث أحب الشاميون تناول أنواع متعددة من الحلويات لذلك كان المستحب مراقبة الذين يتولون تحضير الطعام والحلويات[3].

كما ذكروا أنواع كثيرة من الحلويات مثل كعب الغزال، مما كان يصنع بالسميد والطين ويحتاج إلى السمن والعسل والسكر ورواج صناعة الحلويات، بالإضافة إلى حلوى الخروب حيث يطبخ ويؤخذ ما يخرج الرب فنصنع منه حلوى ويجلب الرب إلى مصر والشام[4].

ومما تقدم عرضه يتضح لنا أن المجتمع الشامي لم يعاني من قصور في المواد ذلك أن هذه الحلويات تضع في الأسواق إلى عامة الناس.

---

[1]- الطابون: في شكله العام تجويف دائري نصف كروي به من الأعلى ذو غطاء منفصل مصنوع من الطين ويغمده الوقود وهو عبارة عن تين خشن أو أسماء الحيوانات أو من الخفت ويزيل في اليوم مرتين في الصباح أو المساء حتى يحتفظ بحرارته الداخلية ويحرك الوقود بخشبة تسمى المغمار، إيمان مقابلة، المرجع السابق، ص 79.

[2]- إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 82.

[3]- إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 169.

[4]- نفسه، ص 168 169.

وكانت الأسرة تستخدم أيديها بدل الملاعق، وغيرنا من أدوات الطعام. حيث اعتمدوا في طعامهم على مبدأ التغميس وأكثر من طبخ الثريد أو تحضير الغمة، وهي طعام يحضر بالاعتماد على رأس الذبيحة وأمعاءها ومعدتها، وعلى مقربة من أسواق الجزائريين اشترت حوانيت الشوائين ولباعة الأطعمة والأشربة.

كما عرفت الشام بأكل الأسماك وكانوا يؤثرون بعض أنواع الحساء خاصة ما حمل اسم الهريسة[1].

وبطبيعة الحال الشاميون برعوا أيضا في استخدام الروائح الزكية الأشربة المركبة والبخور من الأسواق لي استهلاك التوابل في تحضير الأطعمة والحلويات، كما عرفت دمشق بإنتاج كميات كبيرة من الورود التي يستخرج منها ماء الورد وكذلك اعتاد الناس على استخراج كميات واستخدام ماء الزهر بأنواعه في مجالات التعطر والأطعمة والتداوي، حيث عرف الشاميون أنواع متعددة من العقاقير والأطعمة والأشربة واستهلكوا الأفيون والمواد المخدرة في مجالات كثيرة.

ويبدوا أن قطاع كبير من الشعب عمد في مجالات تصنيع العقاقير والعطور والتوابل كما اختصوا بعضها، ومع ذلك لا نسمح بذكر الإقبال على صناعة السموم وتحضيرها كما أن رائجا في بعض الأوساط[2].

ومن الملاحظ أنها عادة الفرد الشامي انه عند تقديم ألوان الطعام واتبع في ذلك العصر النظام نفسه. فيقدم الطعام أولا ثم الحلوى من بعد وأخيرا الفاكهة[3].

وهذا يعني أن بلاد الشام كانت حياتهم بسيطة، من الناتج الحيواني البيض والحليب الطازج وكانوا يعملون من البيض وجبات سريعة مقلي بالزيت والسمن ومشويا بالحرارة في الطابون أو مسلوقا أو عجة، حيث شاع استخدام السكر في بلاد الشام في مدن وقرى على

---

[1] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 168.

[2] - نفسه، ص 169.

[3] - الزربا، المرجع السابق، ص 317.

حد سواء وكان الناتج من سكر إغزار نهر الأردن بقدر كميات كبيرة حتى أنه كان يزيد حاجة الأهالي، لذا صدر إلى أسواق أوروبية أخرى[1].

حيث عرفت أنواعا عديدة من الأطعمة مثل المأمونية والسفرجلية والرومانية، الفول، الكمونية وغيرهما، بالإضافة إلى القطايف وشراب التفاح ودهن اللوز حيث كانوا يستخدمون في الأفراح شراب الليمون، وشراب الحامض بقلب الفستق، وأحيانا يباع البطيخ[2].

ثانيا: الأسواق والحمامات:

1. الأسواق:

وكانت الأسواق الشامية في حلب حماة ودمشق تحتفل في العصر المملوكي بالمناسبات الدينية، فكانت أسواق الشاميين تزين الحوانيت في شهر رمضان بأنواع الفوانيس الشمعية، حيث كانت الأوامر السلطانية تصدر لتحديد شكل الشموع، ووزنها وكل مناسبة رسمية تختلف شكل الشمع ووزنه عن المناسبة الأخرى، فكانت الشموع الكبيرة تحمل على عجل وكانت الحوانيت مفتوحة إلى منتصف الليل لكثرة الإقبال على الشراء عليها[3].

أما سوق النقل واليماميش، كانت تمليء في شهر رمضان بأنواع اليماميش التي تفرش على أبواب الحوانيت، فيقبل أهل الشام على الشراء منه ويقدمونه للضيوف ويوزعونه على أطفالهم حيث يدورون على البيوت، ويحملون القوانين المضادة، ويغنون الأغاني الرمضانية في جماعات صغيرة ،وفي شعبان كانت بلاد الشام تصدر اليماميس والنقل بكميات هائلة إلى مصر استعدادا لشهر رمضان، وكانت الشام تصدر أيضا الزيت والصابون والفستق والجوز واللوز والخروب، كما كان الرجال والأطفال يصومون شهر رمضان، ومن وجده

[1] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 75.

[2] - الزربا، المرجع السابق، ص 316.

[3] - محمود السيد، المرجع السابق، ص 203.

المحتسب مفطرا عاقبه عقابا بسيط للجهرية حتى وإن كان مريضا أو مسافرا فان لم يكن له عذرا وعرضه للسخرية والاستهزاء[1].

2. الحمامات:

بما أن بلاد الشام اشتهرت بالأسواق، إذا بطبيعة الحال تميزت بوجود الحمامات وهي من عاداتهم الاستحمام فتعتبر من أهم المؤسسات الاجتماعية العامة التي زخرت بها الشام في العصر المملوكي التي وجدت بكثرة بسبب غزارتها، حيث كان يقصدها الناس من مختلف الطبقات رجالا ونساء في العصر المملوكي للاستحمام ذلك لان الناس في ذلك الوقت بالغوا الاستحمام في منازلهم، وقد تحدث فيها أحد المؤرخين في أيامه فذكر أن بعضها خاص بالرجال وبعضها خاص بالنساء وبعضها يفتح للرجال قبل الظهر وللنساء بعده، حيث اعتبر ابن خلدون أن كثرة الحمامات في المدن من مظاهر التمدن والغنى ولم تعرض المؤلفات التاريخية لوصف الحمامات العامة وتصميمها في ذلك العهد[2].

أما بالنسبة للمدخل فغالبا ما يكون منحنيا وفي ركن منه تقبع المشرفة على الحمام لتستقبل الزبائن وتتلقى الودائع من نقود وحلي وغير ذلك، وهذا المدخل يؤدي إلى بهو فسيح عبارة عن صالة معدة للحصول على قسك من الراحة قبل وبعد الاستحمام ،كما توجد حنفيات صغيرة لحفظ الأحذية ويعلو هذه الردهة شخشيخة للإضاءة[3].

ومما تقدم عرضه يتضح لنا أنه اعتمد الناس على حمامات عامة وكان في كل مدينة شامية عدد كبير من الحمامات مختلفة الإحجام، حيث يتألف كل حمام من ثلاث قاعات كبيرة الأولى يخلعون فيها الثياب للاستحمام[4].

وفي بيوتهم حملوا معهم الصابون والطيب والغسول وأدوات الحلاقة بشكل عام، ولقد حكي أسامة بن منقد في كتابه الاعتبار أكثر من حكاية حول هذا الموضوع وفيها نقل

---

[1] - محمود السيد، المرجع السابق، ص 204.

[2] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج5، ص 422.

[3] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 171.

[4] - الزريا، المرجع السابق، ص 275.

الفرنجة الحمام معهم إلى بلادهم. كما أن الحمام شغل أدوار اجتماعية أخرى فعندما كان يدخل المريض الحمام كان في ذلك إعلان شفاءه وكان الغربيين يدخل الحمام قبل نهاية حفل الزفاف، ولعلى الحمامات شغلت دورا اجتماعيا نسائيا، فقد كانت ساحة الحمام تتحول إلى حلبة للرقص وعرض الجمال[1].

ضف إلى ذلك أن العروس تتجهز قبل ليلة زفافها بالذهاب إلى الحمام، كما أن المرأة كانت تحتفل بالأربعين بعد ولادتها بالذهاب إلى الحمام، كما اعتادت النساء أن يجتمعن مع صديقاتهن فيتناولن أخبار الناس ويقصصن على بعضهن كثير من حياتهن المنزلية.[2]

ومما تقدم عرضه يتضح أن الحمامات العامة عرفت اهتماما كبيرا وجد فعال من قبل الحكومة المملوكية، وتنظيم الدخول فيها وتوفير سبل الأمن للقيام بإغراض خاصة، وبم تقتصر على أنها كانت مكان لنظافة البدن بل كانت مركز تجميل الرجال والنساء على السواء، ومن ثم أسندت مهمته للأشراف[3].

ثالثا: الزوايا وتشييع الجنائز:

1. الزوايا:

الزوايا كان لها غنى ومرجع في الماضي، وتعد مقر اجتماع لبعض الشيوخ ومؤيديهم إلى أن بلغت الأوج وأصبحت مركزا اجتماعيا، بقد ملكت عدة إمكانيات، حيث تعتبر مقر الإقامة والإطعام، إعداد هائلة صحن للناس الفقراء والمساكين والمعوزين التدريب على إعمال الذكر ورقصات الدراويش، واتخاذ النصائح والمواعظ، وهكذا الزاوية فقد قامت بدور آمنت فيه المتعة لجميع الناس دون خشية من تأنيب الضمير[4].

[1] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 173.

[2] - الزربا، المرجع السابق، ص 275.

[3] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 173. الزربا، المرجع السابق، ص 275.

[4] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 152.

فقد كانت الحياة تدب في كل أسواق والمساجد والمشافي والفنادق والخانات والحوانيت المتخصصة والمدارس[1].

ومما تقدم عرضه يتضح لنا أن أهل الشام كانوا لا يكتفون بل كانوا يجتمعون مساءا فبعض الفئات كانت تذهب إلى المساجد وأخرى إلى الزوايا وجماعات،كانت تمضي في أمسيتها في بيت من بيوت جاراتها أو في ساحة من الساحات إذا كان الوقت ضيقا[2].

ثانيا: تشييع الجنائز:

تحدث عنها أحد الرحالة الجغرافيين العرب،فقالوا أنها أثارت دهشة عادات الدمشقيين في الجنائز أنهم يمشوا أمام الجنائز يقرؤون القران بأصوات شاحبة وتلاحين مبكية تكاد تنخلع لها النفوس شجوا وحنانا يرمقون أصواتهم بها فتلقاها الأذان بأدمع الأجفان، فنجد أيام العزاء في المساء حيث كانت تبسط الموائد فيفتح باب البيت للفقراء فيأكلون[3].

فأما حداد النصارى فيمسك إلى ثلاث سنوات للأبوين وسنتين للأخ والزوجين[4].

وكان الناس يزورون قبور موتاهم بعد صلاة العيدين الأضحى والفطر والخميس الذي أطلق عليه خميس الأموات أو الجمعة[5].

كما شارك الناس في تشييع موتاهم بشكل جماعي بعد أن يصلوا في المسجد ثم يعودون إلى بيت العزاء لمصافحة أهله ومواساتهم[6].

وفي صبيحة الثالث للوفاة تجتمع الناس على القبر ويتقبل أهل الميت العزاء أثناء وجودهم في المقبرة ويحدث ذلك في اليوم السابع ويوم الأربعين[7].

---

[1] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 204.

[2] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 152.

[3] - كرد علي، خطط الشام، المرجع السابق، ج6، ص 201.

[4] - ابن عبد الرزاق، حدائق الأنعام في فضائل الشام، تح: يوسف بدوي، دار الطباعة والنشر بيروت، 1989، ص127، إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 104.

[5] - نفسه، ص 104.

[6] - ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، ط1، بيروت، ص ص 267،269.

[7] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 104.

على الرغم من تحدثنا على عادات وتقاليد الشام التي كانت متمثلة في الطعام والحمامات وغيرها من إلا انه كانت لديهم تقاليد أخرى نشير إليها الآن في هذا المبحث، حيث كانوا يصنعون مسابح من خشب الزيتون ويخرمونها على أنواع مختلفة ويدعونها للزوار،كما كان من عاداتهم أن حصل خلاف داخل القرية فقد كان الأخ يقف إلى جانب أخيه وأبناء أخيه إذا كان هذا الخلاف بينهم وبين غريب حتى ولو كان باطل وكان ذلك حسب المقولة: "أنا وأخي على ابن عمي، أنا وابن عمي على الغريب.."[1].

من عادات الرجل أن يقضي نهاره في عمله خارج المنزل حتى إذا انتهى من عمله عند غروب الشمس عاد إلى منزله ثم ترتدي الثياب الرقيقة المذهبة المصنوعة من الحرير الفاخر لتظهر أمام زوجها في صورة فتنة وإغراء[2].

كما نجد أيضا أهل الشام يهتمون بأزيائهم ويطلون ثيابهم والمحتشم منهم من يسحب ذيله على الأرض شبرا، حيث كانوا يحبون المصافحة ويتعلمون ليس فقط أثناء تلقي بعضهم البعض بل اثر الصلوات أهل دمشق، كانوا متفوقون في أرائهم كل منهم قريب له سوء عمله فراه حسن[3].

ومن عاداتهم اهتم الناس في عصر السلاطين اهتماما كبيرا بإعداد أماكن النوم في منازلهم فصنعوا أسرة من جريد النحل ووضعوا عليها وسائد مريحة، وفي فصل الصيف اعتادوا النوم فوق الأسطح وفي أحواش المنازل حيث يشيدون مصاطب خاصة للاستمتاع بالهواء المنعش[4].

أيضا لا ننسى أنه من عادات الشاميين أنهم كانوا يزخرون بألعاب هائلة المتمثلة في الفروسية التي تولدت منها عند العرب لعبتان الأولى الصولجان أو الكرة فوق الخيول،

---

[1] - الزربا، المرجع السابق، ص 311.

[2] - نفسه، ص 311، 312.

[3] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 159.

[4] - الزربا، المرجع السابق، ص 312.

ونضرب على ذلك مثال ما حدث لأحد الأمراء على أمير الأعلى عرب الشام، الذي كان معتقلا بالقاهرة ثم أفرج عنه الظاهر بيبرس ولعب معه في الميدان[1].

أما الثانية لعبة المبارزة على الخيول بين رجلين في مواسم ومناسبات ثم تولدت العاب أخرى الصيد على الخيول بالإضافة إلى ذلك لعبة الشطرنج والتي كانت تستعمل للتسلية وتضييع الوقت[2].

---

[1]- محمود السيد، المرجع السابق، ص 202.

[2]- الزربا، المرجع السابق، ص 312. محمود السيد، المرجع السابق، ص 202.

المبحث الرابع: الرسوم والاحتفالات

أولا: الزواج:

لقد اختلف الزواج في العصر المملوكي وذلك حسب الطبقات بين عامة الشعب والمماليك ومن بين الخصائص البارزة التي تميزت بها الحياة العائلية كثرة لاحتفالات والأفراح والتفاخر في إحياء هذه الأفراح العائلية الاحتفال بالزواج، ونحن بحاجة إلى التعرف على كيفية عثور الرجل على شريكة حياته في مجتمع سيطرت عليه الطبقة، تقاليد معينة كالحجاب أي أن المصادر التاريخية التي بين أيدينا قد ضنت علينا بالكثرة من المعلومات الخاصة بمراحل الزواج وتعني مرحلة الخصوبة[1].

خلال هذه الفترة تتلقى أسرة العروس الهدايا والكثير ليس من أهل العريس فحسب وإنما من أقاربها وجيرانها وأصدقائها وفي كثير من الأحيان كانت الهدايا أطعمة[2].

حيث جرت العادة انه إذا رضي الراغب في الزواج فانه يسرع إليها أيضا بالهدايا هذا رغبة في الاقتراب، إلا أن الراجح في العصر المملوكي لم يكن لها أي رأي في اختيار زوجها، بل ظل الرأي الأول والأخير لوالدها وربما شاركته في ذلك أمها[3].

وفي ليلة العرس تعد الأطعمة من قبل أهل العريس وأقاربه وجيرانه وتوجه الدعوة إلى أكابر العلماء والأعيان والأمراء والعرس اثنان الأول للرجال والثاني للنساء ويقتصر الطعام والغناء والرقص، أن عادات الزواج التي ذكرنا اقتصرت على المسلمين التي تميز بها المجتمع الشامي واحتفالاتهم، وفي صباح ليلة الزفاف تستأنف أعمال الفرح والطرب وقد يستمر ذلك لعدة أيام وبعد مضي أسبوع يأخذ العروسان استقبال المهنئين لمدة شهر[4].

---

[1] - الزربا، المرجع السابق، ص 319.

[2] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 188.

[3] - الزربا، المرجع السابق، ص 319.

[4] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 188.

أما بالنسبة فيما يخص زواج المماليك كانت تقاليد تمنعهم من الزواج إلا من تركيات فقليلا منهم الذين تزوجوا بنات مياسير التجار والمتعممين[1].

اهتم المماليك بحفلات الأعراس التي بالغوا كثيرا في إقامتها حيث كانوا يصرفون ألف دينار على تجهيز بيوتهم فقد بلغت قيمة جهاز أحمد بن الساقي الذي عقد قرانه، كما أن العادة أن يحمل المهر وتزفه المغاني في أن يصل إلى المكان الذي تم فيه العقد. وفي اليوم الذي يتم فيه العرس كانت تقام وليمة كبيرة يذبح فيها أنواع الأبقار والأغنام أو الخيول والدجاج والإوز ويأكل أهل القرية في دار الفرح[2].

كما توزع الحلوى أيضا على الحضور ،فعرفوا أنواع عديدة من الحلويات والخشخاش اللوزية التي تتم صناعتها عن طريق النشاء واللوز، حيت يقوم العريس بتزيين البيت استقبالا للفرح وفي ليلة الحناء تخرج النسوة إلى بيت العريس في مسيرة غنائية ومعهن الحناء والعطر والطيب والبخور وأطباق مزينة[3].

وفي ليلة الزفاف تلبس العروس الأبيض وينشر الملح والعطر والحلوى وتبدأ الاحتفالات والأهاريج مع مرافقة الطبل والزمز، حيث اشتهر السكان بالغناء والحداد وضرب الطبول، بعد الانتهاء من الزينة ونقله الوداع يحضر جماعة من أهل العريس حيث جرت العادة أن تقعد بالفرسان وتركب العروس الفرد حذاء صغير من العين الحاسدة هذا لجلب الخير والبر[4].

لقد أشارت بعض المصادر المملوكة أن الأمير منطاش علق شربوش وفي نهاية الاحتفال اعتاد العريس أن يأخذ العروس من يدها وعندئذ تقبل العروس يد زوجها[5].

---

[1] - ابن إياس، المصدر السابق، ج4، ص 406،407. أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 38.

[2] - العلمي أكرم، حسين دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1982، ص111. إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 101،102.

[3] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 102.

[4] - أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص38.

[5] - ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج9، ص 351. الزريا، المرجع السابق، ص 326.

كذلك من أهم الاحتفالات بالزواج فقد كان الفلاحين عاداتهم الخاصة، فقد جرت العادة أن يتزوج البنت من القرية أو الجماعة أو الأسرة التي تنتمي إليها[1]. من أهل العم أو الخال وكان يتم الزواج في ين مبكرة رغبة من الأم في تزويج ابنها، وكان يتم عقد الزواج في مسجد قريب من القرية بأسطح المنازل حيث ترقص النساء على صوت الطبول وكان من العادة البنت يجهزها أبواها وكان معظم الجهاز من النحاس[2].

أما بالنسبة للزواج أن،يدفع المهر أي الصداق، وهي عبارة عن نفقة للزوجة وبعدك تجهز العروس، يتألف جهازها من صندوق خشبي مزخرف ومخدات وحرمات، سجاد وبشاكير بالإضافة إلى المئونة وجميع لوازم البيت[3].

أما بالنسبة لأفراح أهل الذمة فيذكر المؤرخ انه سمح لأهل الذمة في عصر المماليك بإقامة أفراحهم في الملاهي والمغاني على عادات حيث تعددت الزوجات نظرا للرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة لكن انه كان لكل واحد منهم بيتا خاصا في أثناء الليل يذهب اله الرجل[4].

إذا كانت ظاهرة تعدد الزوجات قد شاعت في عصر المماليك فقد وجدت فئة قليلة من الرجال اكتفوا بالاحتفاظ بزوجة واحدة، ولشدة أبناء الزواج كتب أحد المعاصرين على سبيل ذلك[5].

بينما أفراد طبقة المماليك فقد ترك لهم حرية اختيار زوجاتهم من بين بنات جنسهم، وهذا يعني أن الزواج عند هذه الطبقة بعيد البعد عن الاعتبارات السياسية التي نلاحظها في مجتمعنا الحديث، حيث اختار المماليك جواريهم الذين جلبهم التجار ومنه جرت العادة في

---

[1] - الخوري، عوائد العرب، جامعة التدريس بولس، لبنان، ص 74.

[2] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 99.

[3] - نفسه، ص 100.

[4] - الزربا، المرجع السابق، ص 327.

[5] - نفسه، ص 320.

عصر المماليك، أنه في حالة زواج احد أبناء السلاطين أو الأفراد أو أعيان الدولة. أن تكب له خطية صداق تكون في الطول والقصر حسب مكانة صاحب العقد[1].

ومن الاحتفالات العائلية ذات الأهمية في تصر المماليك وخاصة بعد الزواج تأتي مرحلة الولادة والنفاس والتي كانت من أهم الاحتفالات عند عرب الشام، إذا وضعت الأم مولودها أقبلت عليها النساء يزغردون، وضرب الدفوف والرقص واللهو واللعب، وعند قطع السرة للمولود يجتمع حوله حشد كبير من صغار الأطفال.

أما بالنسبة للسكين التي تقطع بها السرة تبقى عند رأسه مادامت أمه جالسة تظل تفعل ذلك لمدة أربعين يوما لا يصيبها شيء من الجان[2].

وكثيرا ما يركز الرجل على تحمل زوجته أن يكون المولود ذكرا حيث يقيم وليمة يدعوا إليها الأهل والأصدقاء هذا يعد من ملامح الفرح بالطفل، ولقد اعتاد الناس التهادي والأفراح بالحلوى والأقمشة أو النقود[3].

وتستمر هذه الأفراح لمدة سبعة أيام لا تتقطع مدتها وعندما تحل الليلة السابعة وهي ليلة السبوع، حيث اعتادوا الناس يحتفلوا بيوم السبوع احتفالا كبيرا فتلبس أم المولود الثياب الجديدة الجميلة وتطوف في أنحاء الدار في موكب كبير، تحيط بها الشموع من كل جانب والقابلة أمامها تحمل المولود[4].

وبعد مرور أربعين يوما على الولادة كانت تذهب النفساء إلى الحمام مع أقاربها وصديقاتها في الحمام كان يطلى جسدها ببعض المواد المركبة من العسل وغيرها، حيث كان من عادة الشاميين تكحيل الأولاد بالأغمد ودهن جسم المولود بزيت الزيتون الممزوج بورق[5].

---

[1]- الزربا، المرجع السابق، ص 323.

[2]- نفسه، ص 330.

[3]- إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 179.

[4]- الزربا، المرجع السابق، ص 330.

[5]- إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 179.

ومنه نستنتج أنه الفرد الشامي كان متمسك في عصر المماليك بهذه العوائد حتى تداين بعضهم لها.ولم يخالف أهل العلم والمشيخة بقية طبقات الشعب في ذلك.

ونحن بصدد الحديث عن الأولاد نجد أيضا أن الشاميون احتفلوا أيضا بالعقيقة والتي لم تشير إليها المصادر التاريخية والتي كانت معلوماتها جد ضئيلة، والتي سواء كانت للطفل الذكر أو البنت فعرفها الفيومي صاحب كتاب المصباح المثير على أنها الشاه التي تذبح بمرور أسبوع من الولادة[1].

ولعلى من أفضل الأمثلة على تلك الاحتفالات ما يحدث عند ولادة الأطفال حيث اعتاد الناس في بلاد الشام على ختان أولادهم في اليوم السابع من ولادتهم وقد أجمعت مختلف الطبقات على الاحتفال بالختان احتفالا عظيما حيث يدعون إليه سائر الأهل والأصدقاء ولابد للمدعوين في هذه الحفلة أن يقدموا النقود لأهل الطفل فيضعون هذه النقود في الطشت الذي يطهر فيه الولد، حيث تقدم الأطعمة والأشربة للمدعوين[2].

وإذا كان الختان خاص بأحد الأولاد السلطان نادى المنادى بذلك حتى يحضر الأمراء والناس أولادهم ليختنوهم بعد ابن السلطان وبلغ أحيانا عدد الصغار[3].

ثانيا: الأعياد والمراسيم:

1. الأعياد:

اهتم الشاميون كثيرا بعيد الفطر والأضحى وكانوا يعدون الحلوى والملابس الخاصة وظلت مثل هذه العادات بعض المصادر وصفت هذه الاحتفالات التي كانت تشهدها الشام في هذه المراسم، يستغرق ثلاثة أيام الأولى من شوال ويشهد الناس أتم استعداد لهذا العيد في ساعات متأخرة من الليل وإعداد الزخارف[4].

---

[1]- الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص 160. أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 44.

[2]- إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص98. الزربا، المرجع السابق، ص 332.

[3]- نفسه، ص 332.

[4]- إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 177.

أما الكعك وغيره من أصناف الحلوى فيصنعها الناس في أواخر شهر رمضان ليتبادلوا بها التهنئة في العيد، وفي الصباح المبكر لأول أيام العيد يجتمع أهل الحي أمام منزل الإمام يصلي بهم صلاة العيد في المسجد وبعد الصلاة يعودون إلى المنزل وفي ليلة العيد يدخل الأمراء جميعا على السلطان للتهنئة وتقبل يده وهكذا اتضحت المواكب الرسمية في عهد سلاطين المماليك بأقصى ما يمكن أن تتصف به مظاهر الفخامة والعظمة[1].

كما احتفل سكان الشام بيوم عرفة بقوله انه من عادة أهل الشام وسائر البلاد، يخرجون بعد صلاة العصر من يوم عرفة ينفقون بصحون المساجد غير أن المصادر التي بين أيدينا لا تمد بتفاصيل أكثر عن هذا الاحتفال[2].

وفي اليوم التالي ليوم عرفة يحل عيد الأضحى، فيصلي السلطان صلاة العيد في مواكب حافل على غرار ما ذكرناه في عيد الفطر، وبعد الصلاة يقصد الإيوان ويصحبن الأمراء لذبح الأضاحي.[3]

والواقع أن احتفال عامة الناس بعيد الأضحى لم يقل عن احتفالهم بعيد الفطر فيذهبون إلى المقابر وزيارة الأهل والأصدقاء[4].

هناك من يرى بان الاحتفال بعيد الأضحى يكون في أماكن مفتوحة حيث كان النصارى يقومون بعيد الميلاد ويسمونه الليلة الحلوة، كما اشتهرت عند أهل الشام عادة الكرم للغريب. حيث في صبيحة العيد تخرج جماعة من البنات بعد أن يتزين ويكشفن وجوههن ثم يتخذن في الغناء ويطفن بالحوانيت والأسواق[5].

---

[1] - الزريا، المرجع السابق، ص 373.

[2] - نفسه، ص ص 376، 377.

[3] - ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1990، ج12، ص 280.

[4] - الزريا، المرجع السابق، ص378.

[5] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 102. الزريا، المرجع السابق، ص 378.

ومن خلال دراستنا لهذه الأعياد نصل إلى ان المصادر التاريخية قدمت لنا القليل منها في شكل إشارات ولم تتوسع كثيرا في هذه الاحتفالات[1].

أما بالنسبة للأعياد الدينية فأولها عيد رأس السنة الهجرية التي يحتفل به غرة المحرم حيث يطلع نائب دمشق والفقهاء الأربعة حيث كان في ذلك الوقت ويخصص السلطان بهذه المناسبة وذلك في أول كل شهر[2].

2. المواسيم:

احتفل الشاميون بمواسم أخرى ارتبطت بالمناخ والاحتفال من فصل إلى أخر فاحتفلوا ببداية الربيع واحتفلوا ببعض المواسم الأخرى، وكانوا يذهبون لزيارة البساتين، حيث اعتاد أهل الشام من المسلمين وغيرهم على القيام بزيارة بعض الأماكن أو قبور أولياء، وذهبوا إلى مشاهدة الفوطة وكانوا يقصدون أحيانا بعض المواقع القريبة من دمشق مثل الزيداني[3].

كما احتفل سلاطين المماليك بشهر رمضان احتفلا كبيرا يوم الرقبة ارتقاب هلال رمضان ويوافق التاسع والعشرين من شعبان، حيث يجتمع فقهاء المدينة وبعد ثبوت الرؤية يوقد التجار الشموع بالحوانيت، حيث انتهز السلاطين هذا الشهر المبارك للتوسع في أعمال البر والتقوى لإطعام المساكين،حيث كثرت اجتماعات السكان وزياراتهم في شهر رمضان[4].

حيث احتفلوا أيضا بذكر عاشوراء حيث اعدوا له الأطعمة كما احتفلوا بيوم الإسراء والمعراج، حيث صنعوا أنواعا من الحلوى ،حيث حرمت الشيعة على إقامة عزاء،وقصائد لرثاء وتخرج النساء كحلات الأعين ويدهم بالحناء، كما صنعوا الحلوى[5].

إذن عادات خاصة تمسكوا بها يوم عاشوراء ومازالت بعضها باقيا حتى اليوم مثل طبخهم وزيارة القبور وشراء البخور.

---

[1] - الزريا، المرجع السابق، ص 38.

[2] - نفسه، ص 360.

[3] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 207.

[4] - الزريا، المرجع السابق، ص ص 370- 373.

[5] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص191. الزريا، المرجع السابق، ص 361.

حيث اعتاد أهل الشام على الاحتفال بعدد من المناسبات وذلك الاحتفال بالمولد النبوي، حيث كان عدد المنشدين ورجال الدين وإتباع الطرق الصوفية بالقراءة على ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم مع عدد من الأناشيد الدينية والمدائح النبوية واستخدام الزهور والبخور والمسك والروائح الطيبة وما شابه ذلك، وكان ذلك في شهر ربيع الأول وفي صباح يوم المولد يوزع السلطان كميات من القمح حيث جرت العادة أن المدعوين إلى مثل هذه الاحتفالات يقومون بالنقوط إلى صاحب الدار[1].

في حين نجد أن الوثائق التاريخية أشارت إلى أن أهل الشام احتفلوا بموسم قطف العنب والزيتون حيث يقيمون احتفالات مليئة بالفرح السعادة والغناء كما هو موسم الحصاد حيث يشجع العمال بعضهم[2].

ثالثا: الحج:

حيث احتفل الشاميون خاصة بدمشق كما سلف وأشرنا بتوديع الحجاج ومن ثم استقبالها قيما بعد وزيارة الحجاج وتهنئتهم وهي عادة لازالت قائمة حتى الآن[3].

أما احتفالات المماليك بعودة الحجيج في عصر المماليك فقد كانت عظيمة حيث كان الحجاج من عناصر عربية وبربرية ومغولية وفارسية وغير ذلك من المسلمين، وخروج الأهل لاستقباله وصحبتهم أنواع الأكلات حيث تقام الأفراح والولائم وأضربت على أبوابه الطبول والمزامير ويسمعون ذلك تهنئة للحجاج[4].

---

[1] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 191. الزريا، المرجع السابق، ص 362.365.

[2] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 102.

[3] - إبراهيم زعرور، المرجع السابق، ص 192.

[4] - الزريا، المرجع السابق، ص 382.

وهناك مقولة واضحة لعودة الحجيج حيث قال "وفي اليوم التالي لوصول للمدينة شاهدت قافلة الحجاج عائدة، وكانت تتألف من ثلاثة ألاف من الإبل استمر دخولها للمدينة يومين أو ليلتين وكان يوما بالغا"[1].

[1] - الزريا، المرجع السابق، ص 381.

المبحث الخامس: مكانة المرأة المملوكية

في هذا المبحث ونحن بصدد الحديث عن المرأة المملوكية ودورها الاجتماعي وأهميتها في المجتمع المملوكي ،وذلك لأن المؤرخين المسلمين في ذلك الوقت أهملوا الحديث عنها، لذلك نجد معلومات قليلة تتحدث عنها.ويرجع السبب في ذلك هو أن المجتمع المملوكي كان طبقيا إذ لم يسمح للمماليك بالزواج من نساء تركيات وإنما كانوا يأتون بزوجات تركيات وعلى الرغم من أن المرأة كان لها دور هام في المجتمع، فقد اشتهر الكثير من النساء المملوكات هذا دليل على أن المرأة حازت اهتمام من طرف المماليك الذين حرصوا على اقتناء الجواري[1].

يذكر أحد الرحالة الجغرافيون الذين زاروا منطقة الشام يذكروا نساءها أن نسبة الحسان منهن فيها أكثر من أي نسبة في المدن الأخرى والسبب يعود إلى فتح العرب المسلمون مدينة أنطاكية، ويبدو من هذه العبارة أن نساء الشام كانا يتسمن بالجمال والفتنة بغض النظر عن تحليل الرحالة لسبب هذا الجمال، في هذا العصر تفتحت المرأة باستخدامها الطرق التي تظهر بها أناقتها وفتنتها.هذا يعني أن الحمامات في ذلك العصر كانت المكان الذي تذهب إليه المرأة للعناية بنفسها لكي تظهر جمالها[2].

كما نرى أن النساء تمتعوا بزيادة عنايتهم بالزينة عند الخروج من المنازل وإهمال أنفسهم داخلها.

حيث يحدثنا ابن الحاج عن المرأة،وقد لجأت بعض النساء إلى استغلال جمالهن للإيقاع بالرجال فتخرج الواحدة منهن إلى الشارع وقد استكملت زينتها، كما نعلم أن الممـــاليك

---

[1]- السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار جيل، بيروت، 1922، ج12، ص 44.45. أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص 56.

[2]- الزريا، المرجع السابق، ص 337.

كانوا ينظرون إلى نساءهم نظرة إجلال واحترام فكانوا يطلقون عليه اسم خوند[1]. وخاتون[2] وست الوزراء، حيث تعددت هذه الأسماء وكانوا أيضا ينعتونها بست الخلفاء وست التجار، وغيرها من الأسماء الراقية[3].

ونحن بصدد الحديث عن المرأة لا يمكن أن نهمل دورها حيث كانت تتميز بالاحتشام والسكينة وبأنها ربة بيت ممتازة .فقد كانت تتولى البيت ومهام الأفراد، حيث كانت مؤهلة إلى خدمة البيت.كما انها كانت تشارك أعمال الحقل وتنسج الصوف والغنم والإبل والأكياس والعباءات، كما كانت المرأة تشرف على طحن القمح في الطاعون وتعجين العجين وتخبزه على الطابون، كما كانت تقوم بأعباء متعبة خاصة في فترة المناسبات، حيث تميزت بالجمال" ،ليس جمال النساء وهو أمر نادر هنا حيث تصبح المرأة جدة ذات أحفاد قبل أن تبلغ الثلاثين من العمر" [4].

حيث يقاس جمال المرأة بامتلاء جسدها وقد زاد من رشاقة المرأة وجمالها طبيعة عملهن، فقد كانوا يحملن الجرار على رؤوسهن في جلب المياه إلى البيوت[5].

رغم قلة الإشارات عن النساء وندرتها في المصادر المعاصرة فإننا نجد كثير منها يعبر عن الاحترام والتقدير[6].

---

[1] - خوند: لفظ فارسي عرفه كذلك اللغة التركية،واصله خندواند معناه السيد أو الأمير ويخاطبا به الذكور والإناث، وغلب استعماله في العالم كلقب بمعنى السيدة أو الأمير. الزريا، المرجع السابق، ص 340.

[2] - خاتون: لقب تركي معناه السيدة داخل العالم الإسلامي عن طريق الأتراك وقد استعمل في النقوش والمؤلفات بهذا المعنى فجاء على صيغة خاتونات أو خواتين للتعبير عن الحريم، نفسه، ص 340.

[3] - نفسه، ص341.

[4] - إيمان حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 77.

[5] - الزريا، المرجع السابق، ص 343.

[6] - نفسه، ص 340.

وفي الختام نصل إلى أن المجتمع الشامي عرف حياة مختلفة ومتنوعة من ناحية القصور والبنايات تعددت حيث تشبه القصور الحالية.

- أما بالنسبة إلى الملابس اختلفت فهناك مقارنة بين لباس السلطان ولباس الفلاحين أو عامة الناس.
- ضف إلى ذلك عاداتهم وتقاليدهم من حيث الزواج فهناك تباين واضح، حيث المماليك يتزوجون إلا التركيات على عكس الإنسان العادي.
- عرفوا أيضا أعياد ومناسبات عديدة.حيث تميزوا بتنوع الأطعمة والحلويات اللذيذة.
- المرأة المملوكية كانت لها أهمية كبيرة والتي كانت ترافق الرجل في خدماته وعماله كما تميزت أيضا بجمالها وزينتها.رغم قلة المصادر التحدث عنها.

خاتمة

إن البحث في الحياة الاجتماعية حديث نسبيا فلم يحظ باعتناء الباحثين الا بقدر ضئيل وبدونه تبقى جوانب أساسية من التاريخ غير مفهومة لأن الجوانب المختلفة لحياة اي مجتمع متبادلة التأثير من المعتذر فهمها أن أغفل جانب أو أكثر.

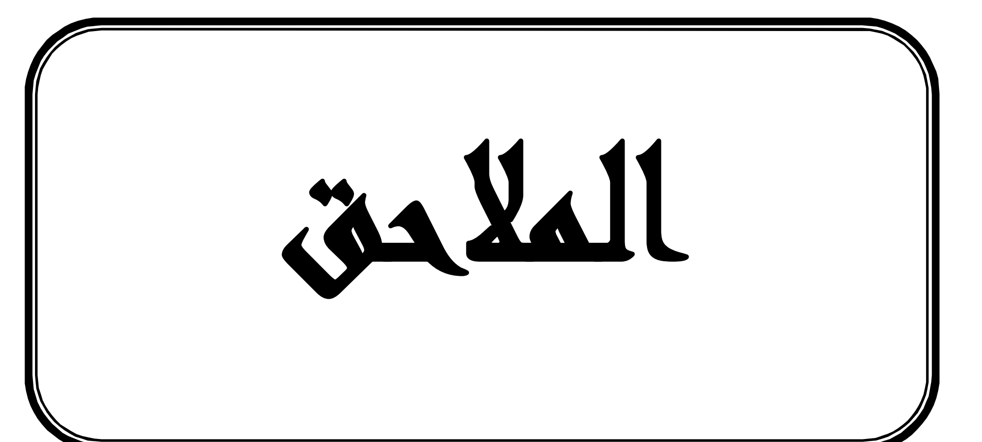
والبحث في الحياة الاجتماعية لأي مجتمع من الأمور المتعبة والشائكة لقلة المادة وتبعثرها في المصادر الأولية الأمر الذي يتطلب جهد أو أداة للحصول عليها في ضوء استقرار الجوانب المكونة لطبيعة الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر الجراسكة المماليك توصلت الدراسة إلى ما يلي:

- انقسم السكان إلى فئات عديدة وشرائح اجتماعية أساسية مارست دورا مهما فاعلا في كافة مجالات الحياة الاجتماعية، وأسهمت في الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه، وإذا استثنت فئة المماليك الحاكمة المسيطرة على مقاليد الحكم والمتأثرة بالجانب الإداري فان بقية الفئات المتعاونة وغير منغلقة اجتماعيا في حركة ذاتية صعودا ونزولا بحسب جهد الفرد وقدراته.
- وجدت العديد من الدوائر الاجتماعية معظم مدن وقرى وأرياف بلاد الشام، نشأت أنشاها أولو الفضل من الحكام المماليك وأهل الخير المنقطعين والأيتام وغيرهم من ذوي الحاجات الخاصة مثل العميان وكبار السن وغيرهم.
- تصوير أوجه النشاط الاجتماعي في المدن الشامية فلقد نشط الشاميون في الأسواق ذلك أن الأسواق شغلت حيزا خاصا في المدينة الشامية بعيدا عن أحياء السكن وكان لكل سوق من الأسواق الشام مختصا بصناعة وبيع بعض السلع والمصوفات في الأسواق خاصة في قنوات إستراتيجية.
- وكانت أيضا ساحات أخرى خاصة الأسواق بيع الجواهر والأقمشة الحريرية والألبسة.
- لقد كان لكل من الحمامات والبيمارستانات والخانات وغيرها من الدوائر الخدمية دورا متميزا في جميع أوجه النشاطات الاجتماعية كالمساجد والمدارس والزوايا بالإضافة إلى

الحمامات أنها تعتبر بمثابة مكان للنظافة والطهارة وللعبادة والتداوي والاحتفالات قبل الأعراس.

- ومن الأنشطة الاجتماعية والمظاهر الاحتفالية مثل الزواج والاحتفال بشفاء المرض، كما أن لبعض تلك الدوائر إسهامات اجتماعية متمثل في رعاية المحتاجين والقادمين إلى الشام من التجار والمسافرين من أبناء الشام والمناطق المجاورة لها.
- ولقد تميزت حياة الشاميين باحتفالات موسمية وأعياد واشتركوا فيها جميعا بصرف النظر عن معتقداتهم وكان لهم عادات في الزواج والأفراح، وكانوا يزورون القبور وغيرها.
- اعتاد كل من المسلمين وأهل الذمة الشاميين الاحتفال بتلك المناسبات حيث اتضح ذلك في المشاركة المتبادلة بين مختلف فئات المجتمع الدينية، حيث يتبادلون التهنئة والأفراح والمواساة.
- أقيمت العديد من المظاهر الاحتفالية للاستقبال السلاطين المماليك. أثناء زيارتهم لبلاد الشام وكما كانت تقام العديد من المواسم الرسمية التي كان يشارك فيها أبناء المجتمع الشامي بمختلف شرائحه الاجتماعية العرقية والدينية احتفالا بتعيين نواب جدد ووصول خلعة الاستمرار بعض النواب فضلا.
- هناك مراسم استقبال ووداع كل من الأمراء المماليك الوافدين إلى بلاد الشام من مصر، والوفود الأجنبية الرسمية من الأقطار المجاورة.
- لقد كان لبعض النسوة في المجتمع الشامي مكانة علمية مرموقة تضاهي أقرانها من الرجال فظهرت منهن الصالحات المعلمات كما كان لبعض دورا اجتماعي نشط في مشاركة الرجال لبعضهن الأعمال في معظم الأنشطة الاجتماعية.
- مارس أبناء المجتمع الشامي الكثير من الألعاب بهدف التدرب، التمرس على أساليب وفنون القتال لطبيعة المجتمع العسكري.
- تنوعت الملابس واختلفت مادتها ولونها وحياكتها وكبقية لبسها وذلك باختلاف فئات المجتمع إذ كانت تشكل تميزا لفئات المجتمع الشامي.

- لقد كانت الحياة تدب في أوصال المدينة الشامية ليلا ونهارا حيث كل الشاميون يعيشون مجالس للسحر ويصف الملامح الشعبية أو لذكر الروايات الصوفية.
- كما عرف أهل الشام تنوعا في الطعام واختلاف شكلها ولونها، حيث عرفت الأطعمة اللذيذة بالإضافة إلى الحلوى المتنوعة، وذلك بأخلاف طبقات المجتمع الشامي.


الملاحق

الملحق رقم 01: جدول يوضح جهود الحلقة مع المماليك والأمراء[1].

	جنود الحلقة	مماليك النائب والأمراء	المجموع
دمشق	12 ألف	2 آلاف	15 ألف
طرابلس	6 آلاف	ألف	5 آلاف
صفد	4 آلاف ألف	ألف	ألفان
غزة الكرك القدس	جميع جنود الحلقة والأمراء 600-1000 فارسا ما يجدون آلاف فارسا ماعدا	مع مماليك عدا الرحالة ومماليك. الرحالة ورجال القبائل	ألف 92 والنائب

[1]- أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص31. غوانمة، المرجع السابق، ص45. الظاهري، المرجع السابق، ص104.

الملحق **02: يوضح طبقة الأمراء في بلاد الشام**[1].

	أمير ماتة	أمير طبلخاتاة	رتب أخرى عشرون وخمسات
دمشق	12	20	60
حلب	2-6	10	20
طرابلس	2	10	30
حماة	-	2	يزيد عن عشرين
صفد	-	3	يقرب عن عشرين
غزة	-	-	يقرب عن عشرين 25

[1] - أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص18.



الملحق 03: جدول يوضح أعداد أمراء في دمشق وحلب وطرابلس[1].

	أميراته	أمير طبلخاتاة	عشرينات	عشرات	خمسات
دمشق	8	21	22	51	23
حلب	6	6	15	4	15
طرابلس	-	21	22	51	22

[1] - أحمد خصاونة، المرجع السابق، ص18.



الملحق رقم **04:** يوضح القباء من الأمام.[1]

القباء من الامام

[1] - ريهام يوسف أمين الغنائي، المرجع السابق، ص 65 .

الملحق رقم 05: يوضح القباء من الخلف[1].



القباء من الخلف

[1] - ريهام يوسف أمين الغنائي، المرجع السابق، ص 65.

الملحق رقم 06: يوضح صورة لنمط من الأزياء تمثل أحد أمراء المماليك يرتدي شربوش[1].



[1] - ريهام يوسف أمين الغنائي، المرجع السابق، ص 65.

الملحق رقم 07: يوضح قميص مصنوع من الحرير ويطلق عليه ثوب تحتاني[1].

[1] - ريهام يوسف أمين الغنائي، المرجع السابق، ص 66.

الملحق رقم 08: يوضح إثنان من العصر المملوكي يرتديان الأزياء الدراعة والعمامة[1].

- [1] - ريهام يوسف أمين الغنائي، المرجع السابق، ص 67.



الملحق رقم **09: يوضح الكاميلة**[1].

[1] - ريهام يوسف أمين الغنائي، المرجع السابق، ص 68



الملحق رقم **10**: **يوضح الكاملية**[1].

- [1] ريهام يوسف أمين الغنائي، المرجع السابق، ص 68.

الملحق رقم **11**: يوضح التخفيفة الكبيرة[1].

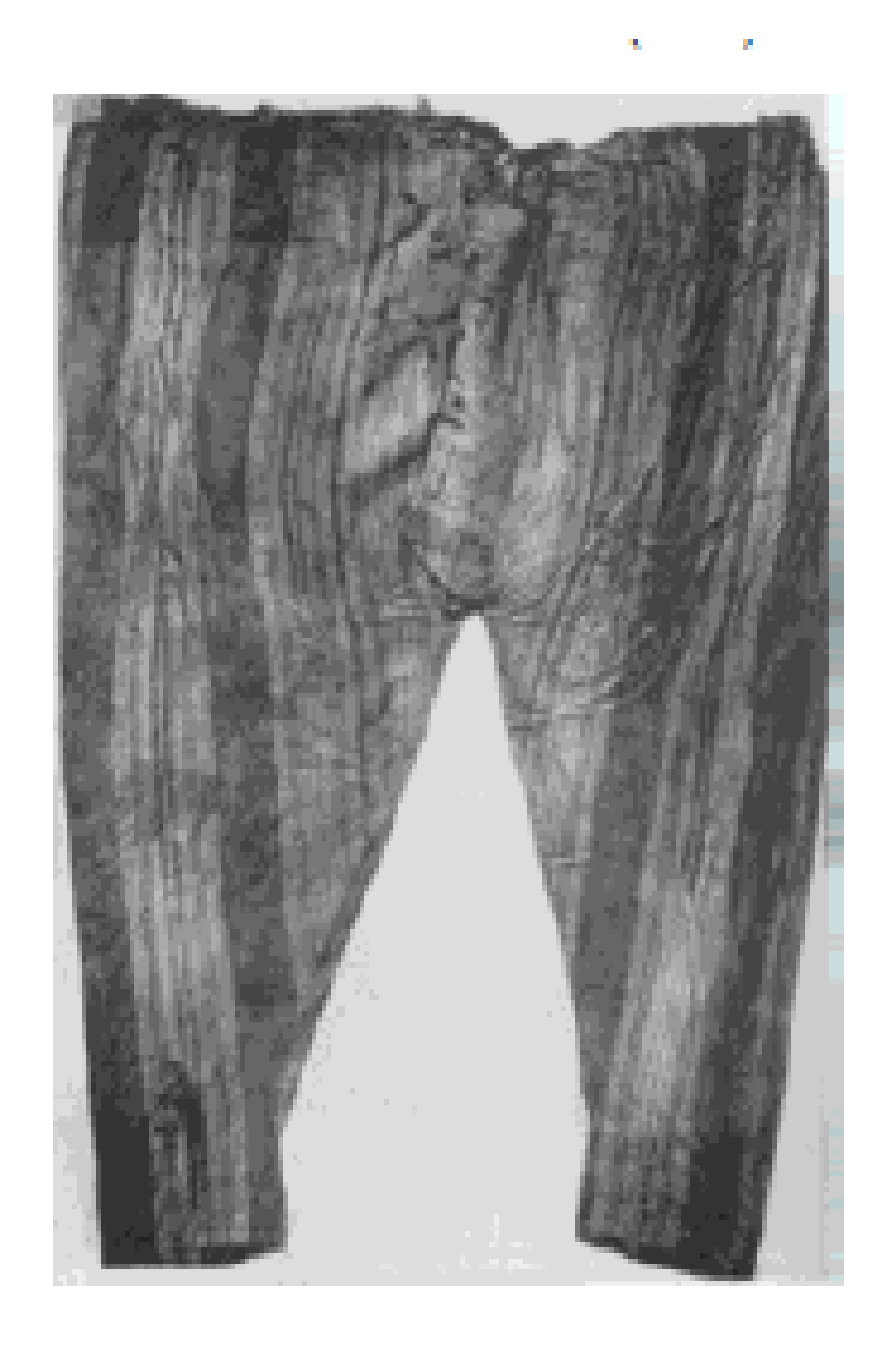
[1] - ريهام يوسف أمين الغنائي، المرجع السابق، ص 69.

الملحق رقم 12: يوضح الشربوش.[1]



[1] - ريهام يوسف أمين الغنائي، المرجع السابق، ص 72.

الملحق رقم 13: يوضح سروال في العصر المملوكي مصنوع من الحرير وله فتحة أمامية بها أزرار.[1]



[1]-ريهام يوسف أمين الغنائي ، المرجع السابق، ص 69.

قائمة
المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1. ابن إياس الحنفي محمد بن أحمد (ت 929هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، تح، محمد مصطفي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1984.
2. ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن (ت 874)هـ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج10، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1963.
3. ابن جبير الأندلسي (ت 540هـ) رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، ط1، بيروت.
4. ابن حوقل أبو القاسم محمد (ت 367هـ)، صورة الأرض منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت.
5. ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ) تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج05، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
6. ابن شهبه، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب تح: عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي عام التراث، دمشق، 1984.
7. ابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ)، العقد الفريد، ج3، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983.
8. ابن عساكر الدمشقي (ت 571هـ)، تاريخ دمشق، ج1، تح: محي الدين أبي سعيد عمر بن غوامة العمري، دار الفكر، دمشق، 1990.
9. ابن كثير عماد الدين أبي الفدا إسماعيل القريشي (ت 774هـ) البداية والنهاية، ج12، ج13، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ،هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998.
10. أبو شامة المقدسي الدمشقي شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمان بن إسماعيل (ت 665هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، لندن، 1906.

11.الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم، المسالك والممالك، ج3، القاهرة، 1984.

12.السخاوي محمد بن عبد الرحمن شمس الدين (ت 902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج12، دار جيل، بيروت، 1992.

13.السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الفضل (ت 911هـ)، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط1، 2003.

14.القزويني زكرياء محمد بن محمود (ت 682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادرة، بيروت، 1969.

15.القلقشندي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي أحمد (ت 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج4، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

16.المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت 848هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997.

17.ياقوت الحموي بن عبد الله (ت 626هـ) معجم البلدان والأسماء، ج5، دار صادر، ط2، بيروت، 1995.

ثانيا: المراجع:

1. إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة، 1960.

2. أحمد شلبي ،موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990.

3. إيناس حسن البهجي، دولة المماليك البداية والنهاية، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2015.

4. أحمد عودات وآخرون، تاريخ الماغول المماليك من القرن السابع الهجري، دار الكندي، اربد، بيروت، 1990.

5. أحمد مختار العبادي ،قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1986 .
6. العلبي أكرم حسن ،دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1982.
7. الباز العريني ،المماليك ،دار النهضة العربية، بيروت، 1967.
8. حموي عبد المنعم حسين ،دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجاميعية، الإسكندرية.
9. الخوري، عوائد العرب ،جامعة التدريس بولس، لبنان.
10. سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عهد سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992.
11. سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط1، بيروت، 1997.
12. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، موسوعة شباب الجامعة، الإسكندرية.
13. عظمة، مرأة الشام ، تح: نجدة فتحي ضوة، رياض الرسب للكتاب، ط1، 1987.
14. عفيف البهيني، الشام والحضارة دراسة تاريخية، وزارة الثقافة، ط1، دمشق، 1986.
15. علي مبارك، الخطط التوفيقية، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، 1906، ج1.
16. غوانمة التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوكي، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 1982.
17. الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان ،بيروت، 1987.
18. قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2009.
19. ماجد الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، 1963.

20. ماير، الملابس المملوكية، تر: صالح الشيتي والهيئة المصرية للكتاب، 1970.
21. مبارك الطراونة، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة ،دار جليس الزمان، عمان، 2010.
22. محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار المغرب الإسلامي، ط2، تونس، 1980.
23. محمد عبد المنعم الجمل، معالم تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
24. محمد كرد علي، خطط الشام، بيروت، 1969، ج1.
25. محمود السيد ،تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي ،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.
26. النابلسي، علم الملاحة، دمشق، دس.
27. نورمان قساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، بيروت، 1979.
28. يوسف غوانمة، التاريخ السياسي لشرق الأردن، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 1982.

ثالثا: الرسائل والدوريات:

✓ **الرسائل:**

1. إيمان أحمد حسين مقابلة، القرية في بلاد الشام في العصر المملوكي، مذكرة ماستر، جامعة اليرموك، كلية الأدب، قسم التاريخ، 1998.
2. إبراهيم زعرور، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 1990.
3. طواهري نسرين، تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك بمصر 923/658هـ، مذكرة ماستر، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2017.

4. فريال بدوي يوسف الزربا، الحياة الاجتماعية في دمشق في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1980.

✓ **الدوريات:**

1. ريهام المشادي، الظاهر بيبرس واستعادة إمارة أنطاكيا، المملكة العربية السعودية، صحيفة بجريدة المدينة، السنة الثانية، ع: 03.
2. ريهام يوسف أمين الغنائي، دراسة تاريخية تعليقية لطرز أزياء في العصر المملوكي، مجلة الإسكندرية للتبادل العلمي، ع: 01، 2011، مج: 35.

رابعا: القواميس:

1. ابن منظور جمال الدين ابن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 2010، مج10.
2. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت، 2010، مج 07.
3. القاسمي جمال الدين محمد، قاموس الصناعات تح ظافر القاسمي، دار الملابس للدراسات والترجمة والنشر، 1988، مج1.

فهرس الموضوعات